Spinsterhood

بثينة العراقي

العنوسة
مخاطر وأسرار

دار الرشيد
للطبع والنشر والتوزيع

ألفا

العنوسة
مخاطر وأسرار

ألفا للنشر والتوزيع

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

اسم المؤلف: بثينة العراقي

رقم الطبعة : الأولى

المراجعة اللغوية: محمود الغرباوي

التصميم الداخلي: ضياء نور الدين

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية
محفوظة
لدار ألفا ودار الرشيد
للنشر التوزيع
ويحذر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملاً أو مجزءًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

رقم الإيداع: ٢٠٠٨ / ١١٩٩٧

ألفا
للنشر والتوزيع
ت وفاكس: 0020233888593
مـوبايــل: 0020101099805
Email:alfa_eg@yahoo.com
info@alfa-publishing.com
www.alfa-publishing.com

دار الرشيد
للطبع والنشر والتوزيع
٢٣ش محمد برقية مقابل مسجد السنة
باب الوادى -الجــزائر ٠٠٢١٣٢١٢٠٨٠٤٣

٢١٩,١
ع ب ع

العنوسة

مخاطر وأسرار

Spinsterhood

بثينة العراقي

ألفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، القائل في محكم تنزيله الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ .... [النساء: ١]، والقائل: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ .... [الأعراف: ١٨٩]، فسبحانه من خالق حكيم لما خلق الرجل خلق له ما يؤنس وحدته، وما يكثر نسله، فخلق له المرأة؛ وجعلها مطلوبة لا طالبة، مخطوبة لا خاطبة، وهذا من باب التكريم لها، ثم نصلي ونسلم على البشير النذير ﷺ، ونشهد أنه رسول الله حقًّا، وأنه بلغ الرسالة وأد الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وما علم من خير إلا دل الأمة عليه ، وما علم من شر إلا وحذر الأمة منه، فسبحان من أدبه فأحسن تأديبه، ورباه فأحسن تربيته، ووصفه في آياته الكريمات: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ .... [القلم: ٤].

أما بعد:

فقد انتشرت في عصرنا الحاضر وفي ديارنا الإسلامية ظاهرة خطيرة وهي نذير خطر داهم على مجتمعنا، ألا وهي ظاهرة العنوسة، أو تأخر سن الزواج إلى سن كبيرة، وربما وللأسف الشديد جلوس المرأة في بيت أبيها حتى تأتيها منيتها ولم تحلق بركب رجل بعد.

وهذه الظاهرة إنما هي نذير خطر داهم على الأمة الإسلامية، لأن الفتاة أودعت فيها الشهوة الجنسية وهذا ما لا محيص عنه منها، بل إن بلوغها يسبق بلوغ الرجل، لذلك إذا لم تعف جنسيا وعاطفيا ربما -كما هو الحال اليوم- تنتشر ظاهرة الزنا أو المباشرة دون الوطء، نسأل الله العافية مما يكره ويبغض.

وأيضًا هي نذير خطر داهم على الأمة لأن المرأة تحتاج إلى رجل يضمها في حضنه، تشعر معه بأمان ودفء، هي بحاجة إلى أن تشعر أن لها بيتًا تديره وتنظمه حسب هواها، وهي بحاجة ماسة إلى أن تشعر أن أحدًا يمدح لبسها ويتغزل في جسدها، ويتذوق طعامها فيشعرها بأنها الملكة في بيتها.

وهي نذير خطر داهم على أمتنا الإسلامية لأنها تنشر ظاهرة تعطل الأرحام، وقلة النسل الطيب المبارك الصالح؛ الذي ينصر الله به دينه ويعلو به شأننا، وترتفع به راياتنا.

إن ظاهرة العنوسة في أمتنا أصحبت من المعترف به حتى في الهيئات الرسمية والحكومية -وستقرأ الأرقام خلال تصفحك للكتاب إن شاء الله تعالى، لذلك وجب علينا إلقاء الضوء عليها، وبحثها اجتماعيًا ودينيًا، ثم إلقاء الضوء عليها في المجتمعات الغربية، ثم بعد ذلك معالجتها معالجة صحيحة دون شطط أو وَكَسٍ، بحيث لو أخذ المجتمع الإسلامي بتلك الحلول لاندثرت تلك الظاهرة في غضون سنوات قليلة إن شاء الله تعالى، وأهم من تلك الحلول المواظبة عليها والمثابرة والمصابرة حتى تتحقق، وتفنيد الاتهامات والشبهات،

فقد رأينا في مؤتمرات المرأة التي تجول عالمنا الإسلامي اليوم باحثات وعالمات يؤمن بالعنوسة بل ويتمادين في ذلك إلى أن صرحت إحداهن أنها تستغني على الرجل بممارسة العادة السرية.

والله أسأل التوفيق والقبول والسداد في القول والعمل.

وقد قسمت هذا الكتاب إلى ستة فصول هي:

الفصل الأول: التعريفات

المبحث الأول: تعريف العنوسة

المبحث الثاني: الإسلام والعنوسة

المبحث الثالث: تعريف العنوسة في العالم العربي

الفصل الثاني: الأسباب التي أدت إلى انتشار العنوسة

المبحث الأول: تعدد أسباب العنوسة

المبحث الثاني: دور الأسرة في العنوسة

المبحث الثالث: مساهمة الشباب في العنوسة

المبحث الرابع: القابلية للعنوسة

الفصل الثالث: مخاطر انتشار العنوسة وآثارها على المجتمع

المبحث الأول: مخاطر العنوسة

المبحث الثاني: آثار العنوسة على الفتاة

المبحث الثالث: المخاطر السلبية على المجتمع

الفصل الرابع: أسرار في حياة العانسات

المبحث الأول: اعترافات دامية

المبحث الثاني: جميلات على عرش العنوسة

الفصل الخامس: العنوسة من وجهة نظر غربية

المبحث الأول: العنوسة في المجتمعات الغربية

المبحث الثاني: الحل الغربي

الفصل السادس: علاج العنوسة

المبحث الأول: علاج العنوسة بالوعي

المبحث الثاني: اختلاف علاج العنوسة على حسب الإقليم

المبحث الثالث: خطوات ذاتية لعلاج العنوسة

المبحث الرابع: العفة طوق النجاة

يتكون هذا الفصل من المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف العنوسة

المبحث الثاني: الإسلام والعنوسة

المبحث الثالث: تعريف العنوسة في العالم العربي

الفصل الأول

التعريفات

المبحث الأول: تعريف العنوسة

العنوسة كلمة عربية فصيحة، فالعرب تقول: «عَنَسَتِ المرأة تَعْنُسُ بِالضَّمِ عُنُوسًا وَعِنَاسًا، وَهِيَ عَانِسٌ، مِنْ نِسْوَةٍ عُنَّسٌ وَعَوَانِسُ، وَعَنَسَتْ، وَهِيَ مُعَنَّسٌ. وَعَنَّسَهَا أَهْلُهَا: حَبَسُوهَا عَنِ الْأَزْوَاجِ حَتَّى جَازَتِ فِتَاءَ السِّنِّ وَلَـمَّا تَعْجُزْ.

قَالَ الْأَصْمِعِيُّ: لَا يُقَالُ: عَنَسَتْ وَلَا عَنَّسَتْ، وَلَكِنْ يُقَالُ عُنِّسَتْ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ، فَهِيَ مُعَنَّسَةٌ.

يُقَالُ: عَنَسَتِ الْـمَرْأَةُ فَهِيَ عَانِسٌ، وَعُنِّسَتْ فَهِيَ مُعَنَّسَةٌ إِذَا كَبِرَتْ وَعَجَزَتْ فِي بَيْتِ أَبَوَيْهَا.

قَالَ الْـجَوْهَرِيُّ: عَنَسَتِ الْـجَارِيَةُ تَعْنُسُ إِذَا طَالَ مُكْثُهَا فِي مَنْزِلِ أَهْلِهَا بَعْدَ إِدْرَاكِهَا حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ عِدَادِ الْأَبْكَارِ، هَذَا مَا لَمْ تَتَزَوَّجْ، فَإِنْ تَزَوَّجَتْ مَرَّةً فَلَا يُقَالُ عَنَسَتْ.

وَقَالَ اللَّيْثُ: عَنَسَتْ إِذَا صَارَتْ نَصَفًا وَهِيَ بِكْرٌ وَلَمْ تَتَزَوَّجْ.

وَقَالَ الْفَرَّاءُ: امْرَأَةٌ عَانِسٌ الَّتِي تَتَزَوَّجُ وَهِيَ تَتَرَقَّبُ ذَلِكَ، وَهِيَ الْـمُعَنَّسَةُ.

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: الْعَانِسُ فَوْقَ الْـمُعْصِرِ؛ وَأَنْشَدَ لِذِي الرُّمَّةِ:

وَعِيطًا كَأَسْرَابِ الْـخُرُوجِ تَشَوَّفَتْ مَعَاصِيرُهَا

وَالْعَاتِقَاتُ الْعَوَانِسُ الْعِيطُ: يَعْنِي بِهَا إِبِلًا طِوَالَ الْأَعْنَاقِ، الْوَاحِدَةُ مِنْهَا عَيْطَاءُ. وَقَوْلُهُ كَأَسْرَابِ الْخُرُوجِ أَيْ: كَجَمَاعَةِ نِسَاءٍ خَرَجْنَ مُتَشَوِّفَاتٍ لِأَحَدِ الْعِيدَيْنِ أَيْ: مُتَزَيِّنَاتٍ، شَبَّهَ الْإِبِلَ بِهِنَّ. وَالْـمُعْصِرُ: الَّتِي دَنَا حَيْضُهَا. وَالْعَاتِقُ: الَّتِي فِي بَيْتِ أَبَوَيْهَا وَلَمْ يَقَعْ عَلَيْهَا اسْمُ الزَّوْجِ، وَكَذَلِكَ الْعَانِسُ»[1].

ولكن هل العنوسة صفة للنساء فقط؟ بالطبع لا، إنما هي للرجال أيضًا، وجاء في لسان العرب: «**الْعَانِسُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ: الَّذِي يَبْقَى زَمَانًا بَعْدَ أَنْ يُدْرِكَ لَا يَتَزَوَّجُ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي النِّسَاءِ**»[2].

والعنوسة: مصطلح اجتماعي وليس لفظًا علميًّا، وبالتالي فهو متغير بتغير الظروف والأوضاع الاجتماعية، والتطور الزمني للمجتمع.

فالعنوسة عادة تعني السن التي تصل إليها الفتاة دون زواج مقارنة بالسن السائدة والمتعارف عليها وسط أسرتها والمجتمع، وكل مجتمع يحدد سنًّا للزواج.

كما تؤكد عزة كريم رئيسة وحدة الأسر بالمركز القومي للدراسات الاجتماعية والجنائية في «مصر» أن العنوسة في الريف تختلف عن الحضر، وفي الدول العربية عن الدول الأجنبية.

وتنخفض سن العنوسة عادة في المجتمعات غير المتقدمة أكثر من

---

(١) لسان العرب: مادة «ع ن س».

(٢) لسان العرب: مادة «ع ن س».

المتقدمة، بمعنى أنه في مجتمع الريف أي فتاة تجاوزت الخمس والعشرين عامًا تسمى عانسًا، فتدخل الأسرة في مرحلة القلق، لكن في المدن يبدأ القلق من سن الثلاثين عامًا، ومع تطور المجتمع ارتفع سن العنوسة فيها إلى ثلاث وثلاثين عامًا، وهذا أمر طبيعي، ففي الدول الأوروبية يصل إلى أربعين عامًا.

وكما تختلف النظرة إلى العنوسة من مجتمع إلى آخر، فهي تختلف من أسرة إلى أسرة، فالأسرة تقلق بعد تخرج ابنتها من الجامعة دون أن تتزوج بعدها بعامين، ويزداد القلق خاصة في المجتمعات العربية مع ارتفاع سن الزواج.

ويرى الشيخ منصور صالح المنهالي رئيس قسم الوعظ والإرشاد بالإمارات، بأن مصطلح العنوسة هو أحد المصطلحات المستحدثة التي دخلت على المجتمع، مشيرًا إلى عدم وجود سن معينة للفتاة تصلح فيها للزواج، أو لا تصلح من الناحية الشرعية؛ لأن الدين الإسلامي لم يضع سنًّا معينة للزواج، حيث تزوج الرسول ﷺ من امرأة تكبره بخمسة عشر عامًا، مؤكدًا بأن السن ليست المعيار الأساسي للزواج، وإنما ما أخبر عنه الرسول ﷺ في قوله: «تُنْكَحُ الْـمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ؛ لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[1].

ويضيف أن تحديد سن معينة للزواج أمر مرفوض من الناحية الشرعية،

(١) متفق عليه، رواه البخاري: ح(٥٠٩٠)، ومسلم: ح(١٤٦٦).

وقد جاء إلى المجتمع الإسلامي نتيجة للانفتاح على المجتمعات غير المتوازنة، والتي أصبحت تنظر لأي قضية بلغة الأرقام حول العمر والمال، موضحًا بأنَّ بروز هذه الظاهرة في المجتمع جاء نتيجة لعدد من العوامل المتعلقة بارتفاع المهور، وتكاليف الزواج، وعزوف بعض أولياء الأمور عن تزويج بناتهم للكفء، والتعذر بأعذار عرقية وعصبية، والفهم الخاطئ بأن التعليم يتعارض مع الزواج.

ويرفض الدكتور أحمد المجدوب مستشار المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية لفظ العنوسة، ويستعيض عنها بعبارة تأخر سن الزواج، حيث مقتضيات العصر الذي نعيشه غيرت هذا المفهوم، فأصبح من المألوف أن تجد فتاة تقترب من الثلاثين ولا تعد عانسًا.

وكلمة «**عانس**»، من المفردات غير المستحبة وتحمل معاني غير مقبولة نفسيًّا وإنسانيًّا، وحين يطلق على الفتاة فإنها تحكم عليها بالعزلة الاجتماعية وتقيم سدودًا في العلاقات بين المجتمع وبينها، وترسم لها صورة في أذهان الناس والمجتمع غير إنسانية على الإطلاق.

ومعظم الفتيات يرفضن لفظ «**عانس**» لما له من ظلال كئيبة، ومعان ثقيلة نفسية واجتماعية، وبعضهن يرين أن في هذه التسمية جورًا على حرية الفتاة في أن تتزوج، أو تعيش بلا زوج.

ولا يوجد سن محدد تستطيع أن تصف فيه الفتاة بأنها أصبحت عانسًا، فهذا يختلف من مجتمع لآخر، ومن ثقافة لأخرى، ولكن هناك شبه اتفاق على أن بلوغ الفتاة إلى سن الخمس والثلاثين عامًا يعني دخولها المؤكد في مرحلة العنوسة.

والبعض يسميها مرحلة العنوسة الدائمة، وهذا لا يعني أن الفتاة لن تتزوج مطلقًا بعد هذا السن فالواقع لا يؤيد ذلك، ولكنه يعني أن احتمالات عدم زواجها هي الأغلب.

والعنوسة باتت ظاهرة ينبغي عدم التغافل عنها، بل مشكلة اجتماعية يجب الاهتمام بها ومعالجتها، واستنفار الجميع من أجل حلها، أو التخفيف منها على الأقل.

والعنوسة تأخر الزواج عند شباب وفتيات المجتمع، ومفهومها يتغير من زمن إلى زمن، ومن مكان إلى مكان، فمثلًا كان المجتمع قبل وقت قصير يعتبر أن قطار الزواج فات الفتاة حين تبلغ العشرين سنة، أما الآن فتبلغ الفتاة أكثر من ثلاثين عامًا، ولا تعتبر من العوانس.

كما يختلف المفهوم في المجتمع القروي عن المجتمع المدني.

أما مفهوم العنوسة في المصطلح الشعبي العامي يعني «**البائرة**» ويقصد بها كل فتاة تأخرت عن سن الزواج المتفق عليه اجتماعيًا، وفي عرف المجتمع أن

«البائرة» هي الفتاة التي لم تعد صالحة للزواج؛ لأن قطار الزمن تجاوزها.

وفي الحقيقة أن هذا المصطلح مأخوذ من قولهم: **«بارت الأرض»** إذا فسدت، ولم تعد صالحة للزراعة، وهذا إشارة واضحة إلى أن الفتاة التي بلغت السن التي حددها المجتمع، ولم تتزوج لا تستطيع الإنجاب، أو على الأقل تكون خصوبتها ضعيفة، ومن ثم يتبرم الشباب من الزواج بها، ومصطلح **«البائرة»** قبيح ومستهجن، وهو جارح ومهين لكل فتاة تعير به.

لقد أصبحت العنوسة ظاهرة اجتماعية مؤرقة، أفرزتها الحياة المعاصرة بصورة واضحة، بل هي تكبر وتتسع وتفرض نفسها علينا كأمر واقع فتدق أبواب البيوت بقوة بفضل مسيرتها وخطواتها السرطانية السريعة.

في ظل عدم توافر دراسات وبحوث اجتماعية رصينة، ولا توجد أي أرقام، أو إحصائيات تدل على هذه الظاهرة الخطيرة العواقب، وما زلنا نحتفظ بقوالب تقليدية للتفكير السائد في عقول الكثير منا، ولا نحاول بلورة شخصياتنا، وتعديل سلوكياتنا، وتغيير مواقفنا بما ينسجم ومتطلبات الظروف الاجتماعية الجديدة التي أفرزتها الحياة المعاصرة والمعقدة.

والعنوسة لا تقتصر على بلد دون آخر، ولا يكاد يخلو منها مجتمع، فهذه ظاهرة واضحة تختلف حدتها من مجتمع لآخر، حيث إن التطورات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية الحديثة أحدثت واقعًا جديدًا يجدر بنا أن نتعامل مع

معطياته بصورة أكثر عقلانية.

والبنت في المجتمع الشرقي لا تتزوج إلا عندما يتقدم لها ويطلبها الرجل، ولها الحق أن توافق، أو ترفض، فماذا لو لم يصل هذا الزوج المترقب؟!

إن البنت ما أن تصل إلى سن الخامسة عشرة حتى تبدأ الأسرة في البحث عن الرجل المناسب الصالح، ويظل جميع أفراد العائلة في حالة ترقب وانتظار، وتتمزق العائلة نفسيًّا تحت وطأة القلق مع كل يوم يمر دون أن يصل الرجل المنتظر.

ومع كل يوم يزيد فيه عمر البنت تتفاقم المشكلة وتتحطم الأعصاب، ويطول الانتظار، ويتحول الانتظار إلى مشكلة، ثم أزمة، ثم تنفجر الأزمة لتتحول إلى مأساة.

وفي تاريخنا الإسلامي كان الرجل يخطب لابنته، ويطلب لها زوجًا في المسجد، وفي صلاة الجماعة، وفي القرآن عرض نبي الله شعيب إحدى ابنتيه على سيدنا موسى عليهما السلام للزواج منها، وكان العرب يطلبون أزواجًا لبناتهم على الملأ.

ولكن تغير الوضع في العصر الحديث؛ لأن كرامة الأسرة، وكبرياء البنت وعوامل الحياء الاجتماعي، والخوف من كلام الناس يمنع الأسرة الشرقية من الإفصاح عن المشكلة التي تعربد في العقول والقلوب، والنتيجة ملايين من

العانسات في الدول العربية، وأصبحت مشكلة اجتماعية متفاقمة في الخليج، كما في المغرب العربي، وبصفة عامة لا يخلو مجتمع من بروز مشكلة العنوسة، رغم اختلاف حدتها وحجمها.

والعنوسة تشمل الفتاة والشاب معًا، واتفق اللغويون أن العانس من الرجال والنساء هو الذي يبقى زمانًا بعد أن يدرك لا يتزوج، إلا أن العلماء اختلفوا في السن الذي يعد فيه الرجل عانسًا على أقوال هي: أربعون، أو خمس وأربعون، أو أكثر من ذلك، وذهب آخرون إلى أن سن العنوسة يعود للعرف.

والعنوسة في الأساس ظاهرة اجتماعية، وهي انعكاس مباشر للوضع الاقتصادي السائد، وارتفاع معدلات العنوسة عند الذكور والإناث مرتبط بالوضع الاقتصادي، والتطور العلمي والثقافي والدراسي، وتحديد السن المناسب للزواج، والظروف الخاصة التي تسهل الزواج، أو تعرقله مرتبطة بالمجتمع، وتتغير مع التغيرات المرتبطة بالتعليم والعمل والمهور، وغير ذلك ويلاحظ:

إن نسبة العنوسة عند النساء أعلى من نسبتها عند الرجال، فما الذي يدفع المرأة لأن تضحي بأمومتها ولا ترضى بالزواج من أي من كان، هل السبب لأن المرأة أكثر قدرة من الرجل على العيش مستقلة ووحيدة؟ أم هي أكثر قدرة منه على مجابهة المجتمع.

إن أكثرية النساء غير المتزوجات متعلمات، أو عاملات، ومن شريحة

اجتماعية متوسطة، أو أعلى، أي: أنهن يتمتعن بوضع مادي جيد ولسن عبئًا على أحد من الأهل والإخوة، بما يعني أن مشكلة العنوسة غير مطروحة كمشكلة عند الفقراء، إنما هي مشكلة الطبقات الوسطى والعليا من المجتمع، مشكلة المرأة المتعلمة والقادرة نسبيًّا على شكل من أشكال الاستقلال المادي.

العنوسة كظاهرة اجتماعية تتطور مع ازدياد الوعي، وليس أدل على ذلك من ارتفاع سن الزواج.

نعم، إن الفتاة العربية تعتقد أن حظها في الزواج قد تعثر، ففي حين كانت جدتها وأمها تتزوجان في سن مبكر، وكانت لديها الفرص المتاحة للاختيار، وتجد نفسها في وضع مختلف اختلافًا كليًّا.

إن الوضع الحالي لمشكلة العنوسة يعلن بإلحاح وبصرخات عالية لجميع فئات المجتمع بتيسير شروط وإجراءات الزواج، وكل الحلول الممكنة للقضاء على هذا الشبح الذي يهدد الفتيات بالوقوع في أسره.

والعنوسة ليست دائمًا عنوسة قسرية، بل هناك أيضًا عنوسة اختيارية، بمعنى أن اختيارها يتم بمطلق الإرادة وبكامل التصميم، ربما يكون ذلك لعدم الرغبة في تحمل المسئولية للأسرة والأطفال، وهذا ينطبق على الجنسين، أو قد يكون لأسباب نفسية، كتجربة تعرض لها أحد الطرفين، وأدت إلى اتخاذ هذا الموقف، كقصص الحب الفاشلة، أو الخيانة، أو الموت.

المبحث الثاني: الإسلام والعنوسة

لم تتطرق الأديان السماوية إلى العنوسة بشكل مباشر، ولكنها جميعًا حثت على الزواج، وعلى تشكيل الأسرة، وإنجاب الولد، وتعمير الأرض.

ولقد وضعت الشريعة الإسلامية حدودًا شرعية متمثلة في الزواج بأحكامه وقواعده التي تضبط أعمال الإنسان، ثم حذرت الإنسان من تعدي هذه الحدود مائلًا إلى الإفراط، أو التفريط، كما صدق قول الحق: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ .... [الطلاق: ١].

وقانون الزوجية نظام أزلي يلتئم به شمل كل شيء في هذا الكون، ويصلح به وجوده، وتخرج به ثماره، وصدق قول الله تعالى: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .... [الذاريات: ٤٩].

وقال جل شأنه: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ .... [يس: ٣٦].

وقال الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ .... [الأنعام: ٩٨].

لقد حث الله جل شأنه على الزواج؛ لما له من مقاصد سامية للإنسان والمجتمع والحياة بأكملها، وشجع المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم على الزواج، ودعا الشباب إليه، ونهى عن التبتل؛ لما في الزواج من مجاهدة للنفس ورياضتها بالرعاية والولاية، والقيام بحق الزوجات، والصبر على أخلاقهن، واحتمال الأذى منهن، والسعي في إصلاحهن، والاجتهاد في طلب الرزق، وتربية الأولاد.

ولما كان الزواج هو سنة الله في الأرض، فإن العزوف عنه هو تعطيل لهذه السنة الكونية، وهو مخالفة لأحكام الدين الإسلامي، وتعاليم المصطفى عليه الصلاة والسلام.

إن العزوف عن الزواج هو محاربة للفطرة السليمة التي فطر الله عليها بني الإنسان، وكل شيء في الحياة.

والعزوف عن الزواج وما يتبعه من مخاطرة وآثار جسيمة على الفرد والمجتمع يدخل في نطاق الفساد في الأرض، والتجاهل لقواعد الدين الإسلامي الحق.

لقد حث الإسلام على الزواج والإسراع منه لحكم سامية، وغايات نبيلة، وفوائد جليلة، وأمر بتيسير أسبابه وإجراءاته.

وصدق قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .... [الروم: ٢١].

وقال في محكم كتابه: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .... [النور: ٣٢].

وقد وعد الله المتزوج بالغنى والمعونة والرزق إذا اتقى الله وأطاعه واعتمد عليه في كل أموره، وصدق قول العزيز: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ .... [الطلاق: ٢-٣].

وقال بعدها بآية أيضًا: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ .... [الطلاق: ٤].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: «**أَطِيعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ مِنَ النِّكَاحِ؛ يُنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنَ الْغِنَى**»(١).

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ رَزَقَهُ اللهُ امْرَأَةً صَالِحَةً فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي الشَّطْرِ الْبَاقِي**»(٣).

---

(١) انظر كشف الخفاء: (٣٠٤).

(٢) رواه البخاري: ح(٥٠٦٠)، ومسلم: ح(١٤٠٠).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط: (١/ ٢٩٤)، والبيهقي في شعب الإيمان: (٤/ ٣٨٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الـمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالـمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»**(١).

وعن سعيد بن جبير قال: قال لي ابن عباس: **«هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ: لَا. قَالَ: فَتَزَوَّجْ، فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً»**(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: **«أَرْبَعٌ مَنْ أُعْطِيهُنَّ فَقَدْ أُعْطِيَ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: قَلْبًا شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَبَدَنًا عَلَى الْبَلَاءِ صَابِرًا، وَزَوْجَةً لَا تَبْغِيهِ خَوْنًا فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ»**(٣).

وقال ابن مسعود: **«لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنْ أَجَلِي إِلَّا عَشَرَةَ أَيَّامٍ، وَأَعْلَمُ أَنِّي أَمُوتُ فِي آخِرِهَا يَوْمًا، وَلِي طُولُ النِّكَاحِ فِيهِنَّ لَتَزَوَّجْتُ مَخَافَةَ الْفِتْنَةِ»**(٤).

إن الزواج امتثال لأمر الله ورسوله ﷺ، واتباع سنن المرسلين الذين أمرنا باتباعهم، والاقتداء بهم، فهو تحصين للفرج، وحماية للعرض، وغض البصر، وبعد عن الفتنة، وفيه تكثير للأمة الإسلامية، وبالكثرة تقوى الأمة، وتتحقق المباهاة للنبي عليه الصلاة والسلام بأمته يوم القيامة إذا التزمت بحدود الله.

---

(١) رواه النسائي: ح(٣٢١٨)، والترمذي: ح(١٦٥٥)، وحسنه.

(٢) رواه البخاري: ح(٥٠٦٩).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط: (٧/ ١٧٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير: (٧٥٦).

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه: ح(٤٧٦).

وبالزواج تقوى روابط المحبة والصلات بين الأفراد والعائلات والمجتمع بأسره، وبه سلامة من الانحلال الخلقي والأمراض النفسية والبدنية، ويحصل به الأجر والثواب العظيم، كما قال ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ»[1].

والعزوف عن الزواج له أضرار خطيرة على الفرد والمجتمع، فالنظر المحرم هو سهم مسموم من سهام إبليس، وهو بريد الزنا، وما ينتج عنه من نشر الرذيلة.

إن هروب الشباب من الزواج ومسئوليته مخالفةٌ للفطرة، وحرمان من زينة الحياة الدنيا، ولذاتها، ومتاعها المتجدد بالحصانة والصيانة، وإنجاب الذرية.

والعنوسة لها أضرارها ومخاطرها على الجنسين، بما في ذلك من تجهم الحياة، وطول التفكير مع الأرق الطويل، وفساد التصور، وضياع زهرة الشباب، ويمثل ذلك للفتيات أعضل مشكلة لما جبلت عليه من الحياء والخوف.

وأغلى ما تتمناه الفتاة في الحياة الدنيا زوجًا أمينًا كريمًا، يحنو عليها ويحصنها وتحصنه، يرفع مقامها عن العزوبة والعزلة، وعن الوحدة والتأيم

---

(١) رواه البخاري: ح(١٢٩٦)، ومسلم: ح(١٦٢٨).

والخمول، وعن الذلة والقلة والضياع.

فعمر الفتاة كعمر الزهرة الوردية إذا حرمت الزواج المبكر ذبلت، وتحرم من حقها في الحياة الزوجية، ومن عضويتها في المجتمع الصالح كزوجة صالحة وأم مربية حنونة.

وقال ﷺ: «لَا تُنْكَحُ الْأَيِّمُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ، وَلَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ. قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: أَنْ تَسْكُتَ»(١).

وذلك لأن بعض الآباء يحجزون بناتهم لولد عمها، ويفرض هذا الوضع عليها المسمى بالتمجير.

وقد أمر الإسلام بالتيسير في الزواج وإجراءاته، وعدم وضع الشروط التعجيزية، وصدق قول المصطفى: «يَسِّرُوا، وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا»(٢).

وصدق قول الحق سبحانه: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .... [النور: ٣٢].

وقال صلوات الله وسلامه عليه في مجال محاربة المهور وغلائها: «أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً»(٣).

---

(١) رواه البخاري: ح(٥١٣٦)، ومسلم: ح(١٤١٩).

(٢) رواه البخاري: ح(١٢٩٦)، ومسلم: ح(١٦٢٨).

(٣) رواه أحمد في مسنده: (٢٤٥٩٥).

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْـمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا»[(١)].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «لَا تُغَالُوا بِصَدَاقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا وَتَقْوَى عِنْدَ اللهِ لَكَانَ أَحَقَّهُمْ بِذَلِكَ رَسُولُ اللهِ لَمْ يَنْكِحْ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أَنْكَحَ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِهِ إِلَّا عَلَى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَنَشٍّ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيُغَالِي بِصَدَاقِ الْـمَرْأَةِ حَتَّى يَقُولَ أَمَا كُلِّفْتُ إِلَيْكِ عَلَقَ الْقِرْبَةِ، قَالَ: وَكُنْتُ غُلَامًا مُوَلَّدًا فَلَمْ أَدْرِ مَا عَلَقُ الْقِرْبَةِ»[(٢)].

وصدق قول حبيب البشرية ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَـمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»[(٣)].

وعلى ذلك فلا يجوز للمسلم، بل يحرم عليه أن يزهد بالزواج، ويمتنع عنه بنية التفرغ للعبادة، والتقرب إلى الله، ولا سيما إن كان قادرًا على الزواج، متيسرًا له أسبابه ووسائله.

ويحارب الإسلام بشدة لا هوادة فيها كل دعوة إلى رهبانية بغيضة وعزوبية ذميمة؛ لأنها تتعارض مع فطرة الإنسان، وتصطدم مع غرائزه وميوله[(٤)]، وصدق قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ كَانَ مُوسِرًا لِأَنْ يَنْكِحَ، ثُمَّ

---

(١) رواه أحمد في مسنده: (٢٣٩٥٧).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط: (١/ ١٧٩).

(٣) رواه أحمد: ح(١٦٦٩٤)، والترمذي في سننه: ح(٢٦٧٦)، وابن ماجه: ح(٤٤).

(٤) عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام: عبد الله نصح علوان. دار السلام.

لَمْ يَنْكِحْ فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

وقد روى البيهقي في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَبْدَلَنَا بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْـحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[2].

وتتعدد المخاطر والأهوال التي تحيط بالفرد والمجتمع من انتشار العزوبة والعنوسة والعزوف عن الزوج الذي شرعه الله، وأكرم به عباده، فالعنوسة إذا انتشرت في أمة من الأمم فيعني ذلك أن أكثر شبابها وشاباتها اتجهوا إلى حياة المجون والخلاعة، وأجواء الفساد والانحلال؛ لأن النفس الإنسانية إذا لم يكن لها من تقوى الله رادع، ومن مراقبته سبحانه زاجر انخرطت في الملذات والشهوات، وانتشرت الأمراض الصحية والجسمية، والأمراض الخلقية من الهوس الجنسي، وضعف الانتباه، وقلة الاهتمام، وضعف في الذاكرة، وقلق في النفس، والاندفاع نحو الجريمة والمخدرات والمسكرات، والانغماس في مظاهر الفساد والإباحية.

والعنوسة تؤدي إلى الفسوق وتطبيق الرجم، بالإضافة إلى الخطر الاقتصادي بانهيار قوى العازب، وضعف قوته، ويصبح غير قادر على الإنتاج وتحمل مسئولية أي عمل من الأعمال مهما كان بسيطًا.

ومن هنا كان قول النبي ﷺ واضحًا حين بين لأصحابه مرة أن العزاب

(١) رواه الطبراني في الأوسط: (١/ ٢٩٧)، والبيهقي في السنن: (٧/ ٧٨)، والحديث مرسل.

(٢) انظر كشف الخفاء: (٢/ ٢١٥٥).

هم شرار الخلق، وأن الذين يموتون وهم عزاب هم أراذل الموتى.

فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «شِرَارُكُمْ عُزَّابُكُمْ، وَأَرَاذِلُ مَوْتَاكُمْ عُزَّابُكُمْ»[(١)].

إن ارتفاع معدل العنوسة وتهديدها لكافة المجتمعات شرقها وغربها، وتداخل الأسباب والملابسات، وخطورة العواقب على الفرد والمجتمع بأكمله، ومحاربة الإسلام لكافة أشكال العنوسة، وحثه على الإسراع بالزواج، وتيسير شروطه وإجراءاته؛ لهي دعوة بالعودة إلى تعاليم الدين السمحة، والالتزام بها، وتغيير مواقفنا بما ينسجم بمتطلبات الظروف الاجتماعية الجديدة.

وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(٢)].

ولا شك أن الإسلام قد وضع الحلول القويمة لمواجهة شبح العنوسة الذي يهدد الشباب والفتيات دون استثناء، وذلك عندما دعا إلى تيسير الزواج، وعدم المغالاة في المهور، كما أن الأخذ بسنة التعدد هي أقوم الطرق وأعدلها لمواجهة المشكلات الاجتماعية المترتبة على انتشار ظاهرة العنوسة، ووجود عدد كبير من المطلقات والأرامل، فلم يشرع الإسلام التعدد إلا لصالح المجتمع وصالح الأسرة، ومعالجة ما قد يصيب المجتمع من أمراض نفسية واجتماعية

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(٢٠٩٣٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير: ح(٣٣٨٨).

(٢) رواه مسلم: ح(٤٩).

وخلقية جسيمة.

نعم لقد بدأنا ندرك اليوم عظمة ديننا الحنيف مع تزايد العانسات والمطلقات والأرامل في المجتمع العربي والإسلامي، وبدأ البعض يفكر في سنة تعدد الزوجات في مواجهة العنوسة، وينادي بها، وظهرت جمعيًا في بعض الدول العربية تتبنى سنة التعدد، مثل جمعية الحق في الحياة في مصر، والتي أسسها وترأسها صحفية مصرية، وهي ترفع شعار «**زوجة واحدة لا تكفي**»، وهذا كلام قد يغضب الكثير من النساء.

وعندما أباح الإسلام تعدد الزوجات لم يبحه عبثًا، وإنما لحكمة عظيمة يعلمها كل من يفكر في أحوال المجتمع البشري، وطبائع الرجال والنساء، فالرجل لا يلجأ إلى التعدد إلا لتحقيق بعض المصالح والمنافع التي قد لا توفرها له الزوجة الواحدة، ويكون التعدد في هذه الحالة لتحقيق مصلحة كبيرة تحمي الزوج من اتخاذ الخليلة، أو العشيقة، والوقوع في الحرام والمحظور.

بل قد يحقق التعدد للمرأة - في كثير من الأحيان- مصلحة اجتماعية كبيرة حتى لا تعيش عانسًا، أو أرملة، أو مطلقة دون زوج، ولأن ترضى بنصف، أو ربع زوج خير لها من أن تعيش وحيدة بلا رجل على الإطلاق.

لقد بدأ المجتمع العربي نفسه يدرك أهمية تعدد الزوجات في الحفاظ على المجتمع من الانحرافات الخلقية والاجتماعية ويؤكد ذلك قول «برتراند رسل»

الكاتب الإنجليزي حيث قال: «**إن نظام الزواج بامرأة واحدة، وتطبيقه تطبيقًا صارمًا قائم على افتراض أن عدد أعضاء الجنسين متساوٍ تقريبًا، وما دامت الحالة ليست كذلك، فإن في بقائه قسوةً بالغةً لأولئك اللاتي تضطرهن الظروف إلى البقاء عانسات**».

ولقد تطرق فقهاؤنا الكرام إلى مشكلة العنوسة من خلال أمرين استخلصتهما من تصفحي لكتب الفقهاء في هذا الموضوع:

الأمر الأول: مقدار سن العنوسة، فقد جاء في شرح مختصر خليل للخرشي: «**الْعَانِسُ هِيَ مَنْ طَالَتْ إقَامَتُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَعَرَفَتْ مَصَالِحَ نَفْسِهَا وَلَمْ تَتَزَوَّجْ وَهَلْ سِنُّهَا ثَلَاثُونَ أَوْ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ أَوْ خَمْسَةٌ وَثَلَاثُونَ أَوْ أَرْبَعُونَ أَوْ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ أَوْ خَمْسُونَ أَوْ مِنْهَا لِلسِّتِّينَ أَقْوَالٌ**»[(١)].

وفي منح الجليل شرح مختصر خليل أن سن العنوسة من الثلاثين إلى الخمس والستين[(٢)].

الأمر الثاني: وهو أمر انتبه له الفقهاء هل تجبر العانس على التزويج فتعامل معاملة البكر، أم لا تجبر وتعامل معاملة الثيب؟ أورد صاحب العناية خلاف الفقهاء في هذا وأدلتهم وإليك قوله:

(١) شرح مختصر خليل للخرشي: (٣/ ١٧٦).

(٢) منح الجليل شرح مختصر خليل: (٦/ ١٠٣).

«عَنَسَتِ الْجَارِيَةُ وَعَنِسَتْ عُنُوسًا: إِذَا جَاوَزَتْ وَقْتَ التَّزْوِيجِ فَلَمْ تَتَزَوَّجْ (فَهِيَ فِي حُكْمِ الْأَبْكَارِ) فِي كَوْنِ إِذْنِهَا سُكُوتَهَا؛ (لِأَنَّهَا بِكْرٌ) إِذْ الْبِكْرُ هِيَ الَّتِي يَكُونُ مُصِيبُهَا أَوَّلَ مُصِيبٍ، وَهَذِهِ كَذَلِكَ مُشْتَقٌّ مِنْ الْبَاكُورَةِ وَهِيَ أَوَّلُ الثِّمَارِ، وَمِنْ الْبُكْرَةِ وَهِيَ أَوَّلُ النَّهَارِ.

وَرُدَّ بِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا تَمَكَّنَ مِنْ الرَّدِّ مَنِ اشْتَرَى جَارِيَةً عَلَى أَنَّهَا بِكْرٌ فَوَجَدَهَا زَائِلَةَ الْبَكَارَةِ بِالْوَثْبَةِ؛ لِأَنَّهَا بِكْرٌ حَقِيقَةً عَلَى مَا قُلْتُمْ لَكِنْ لَهُ أَنْ يَرُدَّهَا.

وَأُجِيبَ بِأَنَّ الرَّدَّ بِاعْتِبَارِ فَوَاتِ وَصْفٍ مَرْغُوبٍ فِيهِ وَهُوَ الْعُذْرَةُ لَا لِكَوْنِهَا غَيْرَ بِكْرٍ، وَلِأَنَّ النُّطْقَ سَقَطَ لِلْحَيَاءِ وَهُوَ مَوْجُودٌ هَاهُنَا. (لِأَنَّهَا تَسْتَحِي لِعَدَمِ الْمُمَارَسَةِ، وَلَوْ زَالَتْ بَكَارَتُهَا بِزِنًا فَهِيَ كَذَلِكَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ. وَقَالَ أَبُو يُوسُفَ وَمُحَمَّدٌ وَالشَّافِعِيُّ: لَا يُكْتَفَى بِسُكُوتِهَا لِأَنَّهَا ثَيِّبٌ حَقِيقَةً)، إِذْ الثَّيِّبُ مَنْ يَكُونُ مُصِيبُهَا عَائِدًا إِلَيْهَا مُشْتَقٌّ مِنْ الْمَثُوبَةِ وَهِيَ الثَّوَابُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِهَا؛ لِأَنَّهَا مَرْجُوعٌ إِلَيْهَا فِي الْعَاقِبَةِ، وَمِنَ الْمَثَابَةِ وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يُثَابُ: أَيْ يُرْجَعُ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَمِنَ التَّثْوِيبِ: وَهُوَ الدُّعَاءُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى، وَإِذَا كَانَتْ ثَيِّبًا فَلَا يُكْتَفَى بِسُكُوتِهَا»[1].

ومقصدي في هذا أن الفقهاء لم يتركوا العانس بدون تحديد أو بدون أحكام، وأيضا لإيضاح أن الأمة قديمًا ظهرت فيها تلك المشكلة وإن لم تتفاقم مثل عصرنا هذا، والله المستعان.

(١) العناية شرح الهداية: (٣/ ٢٧٠).

المبحث الثالث: العنوسة في العالم العربي

«أرقام وإحصائيات»

لقد أصبحت العنوسة ظاهرة اجتماعية مؤرقة، أفرزتها الحياة المعاصرة، وإن لم يتعود عليها المجتمع الإسلامي من قبل، ولكنها تجلت الآن وبصورة واضحة، بل هي تكبر وتتسع وتفرض نفسها علينا كأمر واقع.

والعنوسة آفة خطيرة أصابت كل المجتمعات، وإن اختلفت درجة ظهورها وحدتها وخطورتها من مجتمع لآخر تبعًا لظروفه الاقتصادية والاجتماعية، وتركيبته السكانية، وعاداته وتقاليده، وتشير الدراسات إلى وجود أكثر من خمس عشرة مليون عانس في المجتمعات العربية.

ونستعرض نسبة العنوسة في بعض المجتمعات من خلال ما نشرته جريدة عكاظ عام «١٩٩٣م».

في المملكة العربية السعودية:

أظهرت دراسة ميدانية قام بها «الدكتور حمود ضاوي القثامي» بجريدة اليوم أن للزواج أثرًا على نفسية الفتاة، خصوصًا هذه الأيام، وأن الزواج أصبح همها الأول، كما أن الفتاة السعودية تعاني من عزوف الشباب عن الزواج منها،

وترفض بشدة غلاء المهور، وما يفرضه أولياء الأمور من شروط[1].

وتعتقد الفتاة السعودية أن حظها من الزواج قد تعثر عما قبل، وتطالب وسائل الإعلام بتوعية أولياء الأمور وحثهم على التساهل، ولا تمانع الفتاة السعودية في تعدد الزوجات الذي يساهم في حل مشكلة العنوسة.

لقد أصبح الشك يراود الفتاة حول مرور قطار الزواج دون اللحاق به، وتظل حبيسة شبح العنوسة.

إن الإحصائيات الرسمية التي صدرت عام «١٩٩٩» تشير إلى أن ثلث عدد الفتيات السعوديات بلغن سن الزواج، وأن عدد من تجاوزن سن الزواج بلغ حوالي مليون ونصف مليون فتاة من بين نحو أربعة ملايين فتاة.

وأوضحت إحصائية لوزارة التخطيط السعودية أن عدد البنات اللاتي تجاوزن العام الماضي سن الثلاثين دون زواج قد بلغ مليونًا وخمسمائة وأربعة وتسعين ألفًا وثماني عشرة بنتا سعودية، وأن بحث كل فتاة عانس عن حل لمشكلة عنوستها يختلف من فتاة لأخرى، فمنهن من تلقي بنفسها في أحضان الخاطبات للبحث عن زوج بشروط قياسية، في حين تنغمس الأخريات في دوامة العمل، وربما يشاركن في الفعاليات الثقافية والاجتماعية، وإن كان ذلك لا يبعد حلم الارتباط برجل عن أذهانهن.

---

(١) جريدة اليوم بتاريخ: (١٣/ ١٢/ ١٩٩٣م).

هذه الأرقام المخيفة لارتفاع معدلات العنوسة دفعت المفتي العام للمملكة رئيس هيئة كبار العلماء «الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل شيخ» إلى أن يجدد دعوته لتعدد الزوجات، داعيًا السعوديات إلى تقبل منطق التعدد للحفاظ على البناء الاجتماعي للأسرة والمجتمع، وموضحًا أن تعدد الزوجات أمر شرعه الله لصالح المجتمع، وأن على المرأة أن تقبل أن تكون زوجة ثانية، أو ثالثة؛ باعتبار ذلك خيرًا من العنوسة.

وأضاف أن زواج المرأة من رجل ذي دين وكفاءة وخلق ومعه زوجة أخرى لا عيب، ولا نقص فيه، مجددًا تأكيده بأن التعدد أمر مشروع، وأن الذي يشكك فيه ضال.

في جمهورية مصر العربية:

تدل الأرقام إلى أن عدد العوانس في مصر بلغ أربعة ملايين عانس، و«٥٥٪» من حاملات الماجستير والدكتوراة في مصر عوانس.

وفي دراسة أجرتها الخبيرة الاجتماعية نوال أبو الفضل توصلت إلى أن سن الخامسة والعشرين بالنسبة للرجل، وسن الثانية والعشرين بالنسبة للفتاة هي بداية مرحلة الشعور بالخوف من الحرمان من الزواج، وهي بداية هم العنوسة عند الفتاة المتعلمة، بينما تقل هذه السن إلى سبع عشرة سنة لغير المتعلمات، كما أن تفاعل الظروف الاجتماعية والاقتصادية مع معيار تأخر سن

الزواج يؤدي بالضرورة إلى القلق النفسي وعدم النضج الاجتماعي وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج هامة منها:

١- إن الزواج المبكر يدفع الزوج للعمل والكد، وتكون فرصته في النجاح أكبر.

٢- إن الزواج المبكر يجعل الزوجين أكثر ارتباطًا ومسايرة لبعضهما البعض، بعكس الزواج بعد الثلاثين يتمسك كل واحد برأيه أكثر.

٣- إن «٨٠٪» من مجموع الأسر التي تم زواجها بعد العشرين أبدت سعادتها من القرار، ورغبتها في أن يتكرر ذلك مع الأبناء، و«٦٠٪» من الأسر التي تزوجت في حدود الثلاثين أبدت رغبتها في الزواج المبكر.

٤- إن المرأة أكثر سعادة بالزواج المبكر من الرجل، حيث كانت النسبة ٥ : ٣ لمن في سن العشرين، ٤ : ٣ لمن في سن الثلاثين.

٥- إن «٩٥٪» من الراغبات في الزواج يؤكدن على شرط الالتزام والتدين في الاختيار.

٦- إن المتقدمين للزواج هم كل فئات المجتمع، وتمثل المثقفون

إلى المهنيين فيه أربعة إلى واحد.

٧- «٣٥٪» يشيرون إلى شرط الجمال عند الاختيار، والنسبة الغالبة تشير إلى أن يكون الجمال متوسطًا.

٨- نحو «٥٦٪» من المتقدمين فوق سن الثلاثين و«٤٧٪» من المتقدمات فوق الثلاثين.

٩- «٧٦٪» من الشباب طلبوا أن تكون الفتاة مرتدية الخمار، و«٤٤٪» طلبوا أن تكون منقبة، ونحو «١٧٪» لم يحددوا.

١٠- «٦٣٪» من الفتيات لا يطلبن التعجيل بالزواج، فيما يطلب «٧٢٪» من الشباب التعجيل.

كما كشفت دراسة رسمية أعدها الجهاز المركزي المصري للتعبئة العامة والإحصاء ارتفاع نسبة غير المتزوجين بين الشباب المصري إلى «٣٧٪»، وأن عدد الشبان والشابات العوانس - الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من دون زواج - وصل إلى أكثر من تسع ملايين نسمة من تعداد السكان البالغ أربع وستين مليون نسمة، بينهم ثلاث ملايين وسبعمائة وثلاث وسبعين فتاة، وقرابة ست ملايين شاب غير متزوج.

كما كشفت الدراسة عن أن عدد المطلقين والمطلقات بلغ «٣٦٤ ألفًا و٣٦١ مصريًا ومصرية»، وأن عدد عقود الزواج التي تم إبرامها رسميًا في

مصر عام «١٩٩٩» بلغ «٥٢٠» ألفًا بنسبة «٨.٢٪» من السكان، مقابل «٤٠٥» آلاف عقد زواج في عام «١٩٩٠»، أي بزيادة قرابة «١١٥ ألف» عقد زواج، في حين عقود الطلاق التي تم استخراجها عام «١٩٩٩» نحو «٧٤ ألف حالة» بنسبة «١.٢٪» مقابل «٦٧» ألف شهادة عام «١٩٩٠».

إن هذه الأرقام ترجمة فعلية لظاهرة خطيرة بدأ يعاني منها المجتمع المصري، لاسيما في السنوات الأخيرة، وهي ظاهرة العنوسة التي استهدفت الفئات الوسطى، محملين الفتيات والأسرة المسئولية عن تفاقم تلك الظاهرة بسبب تغير مفاهيمهن عن الزواج، مما جعل الشاب يقف عاجزًا عن توفير الحد الأدنى لمتطلبات الفتاة وأسرتها.

أما وزارة الشئون الاجتماعية فقد أعلنت بدورها أن مائتان وخمس وخمسون ألف طالب وطالبة – يمثلون نسبة «١٧ في المائة» من طلبة الجامعات – قد اختاروا الزواج العرفي.

بينما أعلنت وزارة العدل في أحدث إحصائية لها عن زواج مائتي ألف فتاة مصرية من أثرياء أجانب كبار السن، مؤكدة أن هناك اتجاهًا يسود بين الشباب المصريين للارتباط بزوجات من روسيا ودول الاتحاد السوفيتي السابق وأوروبا الشرقية، حيث يرتبط الشاب بفتاة متعلمة وجميلة؛ لأن هذا الارتباط لن يكلفه سوى منزل مؤثث.

وفي الوقت الذي أعلنت فيه وزارة الشئون الاجتماعية المصرية ارتفاع معدلات الزواج العرفي بين طلبة الجامعات، فقد أكدت دراسة للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بمصر وجود أكثر من خمس عشرة ألف دعوى لإثبات بنوة المواليد من زواج عرفي، أو زنا، والزيادة المطردة في أعداد اللقطاء الذين يعثر عليهم أمام المساجد، أو المساكن، أو في صناديق القمامة، وعودة ظاهرة قتل المواليد من سفاح، فضلًا عن تفشي الانحلال في المدن الكبرى.

من الضروري أن نشير إلى أن الانحلال الخلقي والزواج العرفي ليس الطريق الحتمي لهروب الفتاة العانس من دوامات القلق والخوف والاكتئاب، وهذا يرتبط في نهاية المطاف بمدى تدينها وبثقافتها وتعليمها، بالإضافة إلى طبيعة شخصيتها بالقطع، فإذا كانت الفتاة ذات شخصية ضعيفة فإن الانحلال والزواج العرفي يكونان أقصر وأسهل الطرق التي ترتمي الفتاة في أحضانها، وتسلم لها قيادها، أما إذا كانت الفتاة تتمتع بشخصية قوية فإنها تنأى بنفسها عن ذلك، ولكنها في الوقت نفسه قد تضطر -رغبة في التخلص من شبح العنوسة- إلى القبول بأي زوج يتقدم إليها، حتى لو كان اختيارها اختيارًا غير متكافئ «تشير إحصائيات وزارة العدل المصرية – مثلًا – إلى زواج نحو مائتي ألف فتاة مصرية من أثرياء أجانب كبار السن»، وهو ما يفضي في النهاية إلى طلاق مؤلم، سواء أكان

طلاقًا محسوسًا، أو معنويًا.

وكم من زوجات وأزواج يجمعهما بيت واحد إلا أنهما منفصلان نفسيًا ومعنويًا؟!

وفي آخر إحصاء رسمي في مصر عام «٢٠٠٣م» أوضح أن عدد الشبان والشابات الذين لم يتزوجوا بعد رغم بلوغهم الخامسة والثلاثين عامًا قد بلغ قرابة تسع ملايين بالتحديد ثماني ملايين وتسعمائة واثنين وستين ألف ومائتين وثلاث عشرة نسمة من بينهم خمس ملايين ومائتين وثلاث وثلاثين ألف وثمانمائة وست من الذكور، وثلاث ملايين وسبعمائة وثمان وعشرين ألف وأربعمائة وسبعة من الإناث، أي أن في مصر خمس ملايين أعزب وأربع ملايين عانس.

في الإمارات العربية المتحدة:

أظهرت دراسة سابقة عن أسباب تأخر سن الزواج: أن نحو «٥٠٪» من الشباب يرون أن الشروط التعجيزية التي يضعها الأهل تقف حجر عثرة في طريق إتمام زواجهم المبكر، وهي السبب في عزوفهم عن الزواج.

كما أن «٤٠٪» من الفتيات يرين أن الشباب حريصون على الزواج من مواطنات مهما كانت الظروف الاقتصادية، و«٦٥٪» من الشباب يقولون: إن الفتاة تؤجل الموافقة على الزواج في انتظار التقدم الأفضل.

وجاء في الدراسة التي قامت بها إحدى الجمعيات النسائية بالإمارات أن الحل العملي هو سن قوانين تحدد المهور وتكاليف الزواج، وقد أيد هذا الحل «٥٥٪» من الشباب، و«٥٠٪» من الفتيات.

ولعل من أهم الخطوات الجادة لمعالجة هذه الظاهرة الخطيرة هي إنشاء صندوق الزواج عام «١٩٩٣» لمواجهة مشكلة العنوسة من خلال منح يقدمها الصندوق للشباب على مرحلتين:

المرحلة الأولى: أربعين ألف درهم يصرف بعد عقد القران مباشرة، بالنسبة للشباب.

المرحلة الثانية: ثلاثين ألف درهم بعد إتمام مراسم الزواج.

وبالرغم من توفير دولة الإمارات لأبنائها الشباب كل ما يشجعهم على خوض تجربة الزواج الناجح، إلا أن هذا لم يحل دون انتشار ظاهرة العنوسة، وظاهرة الطلاق، ولقد أوضحت دراسة بعنوان «**الطلاق في الإمارات**» أعدها الباحثان «راشد الكلاسي»، و«عادل الكساري»، أن معظم حالات الطلاق تمت خلال العامين الأولين للزواج، واتضح من خلالها حدوث ألف وثلاثمائة وست وعشرين واقعة طلاق، مقابل أربعة آلاف وثلاثمائة وخمس حالات زواج في عامٍ على مستوى الدولة.

وسجلت إمارة «أبو ظبي» أعلى نسبة طلاق «٥٧٣ مقابل ٢٩١ حالة زواج».

وكشفت الدراسة أن أعلى معدل للطلاق كان في الفئة العمرية بين عشرين إلى ثلاثين عامًا، حيث بلغت نسبة المطلقين في هذه السن «٤٢٪» من إجمالي عدد المطلقين، ولوحظ أن حالات الطلاق بالنسبة إلى الإناث تنخفض بشدة بعد بلوغهن التاسعة والثلاثين، في حين أن معدلات الطلاق عند الرجال تصل إلى معدلات متقاربة بعد عمر الخمسين؛ لقدرة المطلق على الزواج مرات عديدة، وفي مختلف مراحل العمر، بعكس المطلقة التي تقل فرصتها في الزواج، لاسيما بعد تقدمها في السن.

والظاهرة الثانية التي لم يؤثر إنشاء الصندوق على انتشارها واستفحالها هي: العنوسة، وقد ذكرت بعض المصادر أنها وصلت إلى ٦٨٪ بين الفتيات، ما يعني أن في كل بيت إماراتي اليوم عانسًا، ويقابل ظاهرة عنوسة الفتيات عزوف الشباب عن الزواج، وقد وصل الأمر إلى أن حوالي ٢٠ ألف رجل أعرضوا عن الزواج، سواء كان ذلك بإرادتهم، أو رغمًا عنهم.

كما ينظم الصندوق حفلات زواج جماعي تضم أعدادًا من الشباب والشابات في زفاف واحد ضخم، مما يوفر مبالغ ضخمة تتكلفها كل حالة زواج، وتمثل هذه المبالغ سببًا رئيسًا في عزوف آلاف الشباب عن زواج المواطنات، واللجوء إلى بنات بلدان عربية أخرى على رأسها «مصر وسوريا»، ويتراوح ما يتكبده كل شاب مقبل على الزواج من إماراتية بين مائتي ألف إلى خمسمائة ألف درهم.

ورغم أن المشكلة لا تزال قائمة وبقوة، فإن الدلائل تشير إلى حدوث تقدم نسبي، خاصة فيما يتعلق بمعدلات استمرار الحياة الزوجية بين المواطنين، فقد أعلنت قبل أيام إحصائية حديثة أجراها صندوق الزواج الإماراتي، كشف فيها النقاب عن انخفاض معدلات الطلاق بين المواطنين الإماراتيين بنسبة كبيرة، حيث وصلت نسبة الطلاق خلال عام «١٩٩٩م» في إمارة أبو ظبي إلى «١٦.٥٪» مقابل «٥٢٪» قبل عشرة أعوام، فقد بلغ عدد حالات الطلاق عام «١٩٩٩» مائة وثمان وثلاثين حالة مقابل ثمانمائة وعشرة زيجات، بينما كانت حالات الطلاق مائتين وثمان وثلاثين عام «١٩٩١» مقابل خمسمائة وأربع وأربعين حالة زواج.

أما في إمارة دبي، ثانية كبرى الإمارات السبع التي تتكون منها دولة الإمارات العربية المتحدة، فقد انخفضت نسبة معدلات الطلاق إلى الزواج بين المواطنين لتصل إلى «٢٠٪» عام «١٩٩٩م» بعد أن كانت «٢٥.٨٪» عام «١٩٩٥م»، حيث بلغ عدد الزيجات بين المواطنين في الإمارة عام «١٩٩٩» «٦٠٧» زيجات مقابل «١٢١» حالة طلاق.

وذكرت الإحصائية أن الانخفاض في معدلات الطلاق استمر في التدرج على مدى السنوات الماضية؛ حيث انخفضت نسبة الطلاق من «٢٥.٨٪» «٥٦٤ حالة زواج مقابل ١٤٦ حالة طلاق» عام «٩٥» إلى «٢٤.٣٪» «٥٢٥ زيجة مقابل ١٢٨ طلاق» عام «٩٧»، ثم لتصل إلى «٢٠.٤٪» عام «١٩٩٨».

وربما يرجع انخفاض معدلات الطلاق إلى زيادة الوعي الاجتماعي لدى الأجيال الجديدة من المتزوجين، وإدراك أهمية الاستقرار الأسري في مستقبل الفرد، وليس المجتمع والدولة فحسب.

إن المشكلة متعددة الجوانب ومعقدة، فبعض أسباب إحجام الشباب الإماراتي عن الزواج من الإماراتيات بعيد عن التكاليف والأعباء المادية، ومن أمثلة ذلك أن تكون الفتاة عاملة، أو لتقدم العمر بها، أو لضرورة الزواج من داخل العائلة، أو القبيلة وفقًا للتقاليد المتبعة، وكلها مسائل ذات أبعاد ثقافية واجتماعية يصعب التغلب عليها سريعًا.

وفي محاولة لبحث أسباب ظاهرة العنوسة وانتشارها داخل الإمارات، أجرت مجلة «مودة»، وهي شهرية تصدر عن صندوق الزواج، استطلاعًا لآراء عينة قوامها مائتان وخمسون فتاة من الإماراتيات اللاتي لم تتح لهن فرصة الزواج بهدف التعرف على أسباب ظاهرة العنوسة، والحلول المقترحة لها.

وقد أظهرت النتائج: أن «٧٣٪» منهن بين الثلاثين إلى الأربع والثلاثين سنة، و«٢٠٪» من الفئة الخمس والثلاثين إلى التسع والثلاثين سنة، و«٧٪» يبلغن أربعين سنة فأكثر.

وفيما يتعلق بالحالة التعليمية بينت النتائج أن «٦١٪» حاصلات على مؤهل جامعي، و«١٦٪» منهن حاصلات على مؤهل فوق متوسط، و«٢٠٪» حاصلات على الثانوية العامة، و«٣٪» حاصلات على الابتدائية، أو الإعدادية،

أي: أن غالبية أفراد العينة من الفتيات المتعلمات.

كما أظهرت نتائج الاستطلاع: أن «٧١٪» من هؤلاء الفتيات يعملن في وظائف مختلفة، و«٢٩٪» منهن غير عاملات، وكان السؤال الرئيس لفتيات العينة عما إذا تقدم أحد لخطبتهن أم لا؛ بهدف التعرف على فرص الزواج الضائعة، وتحديد مسئولية ضياع تلك الفرص، وأسباب ذلك، وكانت النتيجة أن «٨٤٪» من الفتيات تقدم لهن خطَّاب، و«١٦٪» منهن فقط لم يتقدم لخطبتهن أحد.

ولوحظ من النتائج أن فرص الخطبة كانت عالية كلما قل عمر الفتاة وارتفع مؤهلها العلمي، وكانت من العاملات، فقد كانت نسبة الفتيات اللاتي تقدم لهن خطاب من فئة العمر الثلاثين إلى الأربع والثلاثين حوالي «٨٩٪» بالمائة، وانخفضت هذه النسبة إلى «٧٤٪» عند الفتيان من فئة العمر الخامس والثلاثين إلى التاسع والثلاثين سنة، وكانت «٦٥٪» عند الفتيات من فئة العمر الأربعين سنة فأكثر.

وبالنسبة للمؤهل العلمي، بلغت نسبة الفتيات اللاتي تقدم لهن خطاب من الحاصلات على المؤهل الجامعي حوالي «٨٦٪» وانخفضت إلى «٨٥٪» عند الحاصلات على الدبلوم دون الجامعة، و«٨٣٪» عند الحاصلات على الثانوية، وانخفضت من جديد إلى «٦٣٪ »عند الحاصلات على الابتدائية، أو الإعدادية.

وظهر من النتائج أيضًا أن «٨٨٪» من الفتيات العاملات تقدم لهن خطاب، في حين انخفضت هذه النسبة إلى «٧٥٪» عند الفتيات غير العاملات، كما أشارت نتائج الاستطلاع إلى أن عدم إتمام الزواج من المتقدمين للفتيات اللاتي شملهن الاستطلاع يعود إلى أهل الفتاة بنسبة «٢٣٪»، ورفض الفتاة نفسها بنسبة «٣٨٪»، ورفض الأهل والفتاة معًا بنسبة «٣٢٪»، ويعود بنسبة «٧٪» إلى الشباب المتقدمين للفتيات الذين لم يستمروا في مشروع الخطوبة.

ولفتت النتائج كذلك إلى سبب من أسباب رفض الزواج، وهو أن المتقدم ليس من أقارب الفتاة أو عشيرتها، هذا إلى جانب أسباب أخرى يعتقد البعض أنها تعيق الزواج، مثل رغبة الفتاة في إكمال دراستها، أو رغبتها في مساعدة أهلها.

وبالنسبة للفتيات من فئة الثلاثين سنة فأكثر تتمثل أسباب ازدياد عدد غير المتزوجات منهن من وجهة نظر فتيات العينة في عدم تمسك بعض الشباب بتعاليم الدين الحنيف، والزواج من أجنبيات، وسيطرة الأهل على قرار اختيار الزوج، وتكاليف الزواج الباهظة، والعادات والتقاليد التي تفرض على الفتاة للزواج من الأقارب أو العشيرة، والنظرة إلى الجامعية على أنها مغرورة ومتكبرة، والاهتمام بالشكل الخارجي للفتاة فقط، كما تتمثل في النظرة للعاملة على أنها ستكون منشغلة بوظيفتها على حساب واجباتها الزوجية والأسرية، وطول فترة الدراسة، وغرور الفتاة بجمالها، أو ثروتها، أو نسبها، والتقليد

والمحاكاة، وغيرها من الأسباب.

وتوصلت النتائج إلى حلول بنسبة «٢٢٪» ركزت على التوعية الشاملة بكافة أشكالها للشاب والفتاة والأسرة من خلال عقد الندوات، ووسائل الإعلام، ودور المساجد، بالإضافة إلى المطالبة بتوفير السكن، وتقديم التسهيلات للشباب المقبلين على الزواج، وكذلك إعطاء حرية الاختيار للجنسين، ووضع القوانين لمنع الزواج من أجنبيات تحقيقًا للعدل والمساواة بين الجنسين في هذا المجال، والترغيب بالزواج المبكر، وتعدد الزوجات.

وأوضحت النتائج أن إجابات فتيات العينة كانت متشابهة إلى حد كبير فيما يتعلق بالحلول الثلاثة الأولى، وبالنسبة لكافة الأعمار، بينما كانت هناك اختلافات طفيفة في حدود ١٠-١٥٪ بالنسبة لباقي الحلول.

وفي الكويت:

ارتفع إجمالي عدد العوانس والمطلقات والأرامل إلى نحو أكثر من أربعين ألف امرأة، كما جاء في الإحصائية الرسمية التي نشرتها اللجنة الاجتماعية لمشروع الزواج بالكويت في جريدة «الأمة الإسلامية»، وتصرف الدولة رواتب شهرية للمطلقات والعوانس والأرامل، إلا أنهن مهضومات الحقوق، ولا تقدم لهن خدمات اجتماعية ونفسية لتخفيف الضغط النفسي عليهن.

وتشكل نسبة العوانس والمطلقات والأرامل نحو «٤٠٪» من إجمالي عدد

النساء في سن الزواج الذي هم فوق العشرين عامًا.

وتقول الأرقام: إن نسبة العوانس في الكويت بلغت «١٣٪» من البنات، وهي في تزايد، والنسب قريبة منها في دول الخليج الأخرى.

فقد أوضحت دراسة قامت بها «الإدارة المركزية للإحصاء بوزارة التخطيط» بالكويت أن هناك ميلًا متزايدًا لتأجيل الزواج، حيث ارتفعت نسبة الإناث اللواتي لم يسبق لهن الزواج من «٥٨٪» للفئة العمرية «١٥:١٩» إلى «٨٠٪» خلال خمسة عشر عامًا، ومن «١٦٪» للفئة العمرية «٣٠ :٤٠» إلى «٣٩٪» للفئة العمرية «٢٠ :٤٠» خلال الفترة نفسها، وأرجعت الدراسات ذلك إلى ازدياد فرص التعليم والإقبال عليه، وعلى العمل[1].

وفي دراسة أخرى ارتفع متوسط العمر الذي تتزوج فيه الفتاة من «١٩.٨ سنة» إلى «٢٢.٤ سنة»، وارتفعت نسبة من لم يسبق لهن الزواج من الإناث من «٢٠٪» إلى «٢٨.٥٪»، ومن الذكور من «٣٦.٦٪» إلى «٣٩.٤٪».

ويبدو أن الزواج في سن صغيرة بات منصرفًا عنه، فالدراسة تؤكد أن نسب المتزوجات من الكويتيات الفئات العمرية «١٥:١٩سنة» «٢٠ :٤٠سنة» «٢٥ :٢٩سنة» قد تناقصت وارتفع متوسط سن الأنثى الكويتية عند الزواج.

تضيف الدراسة: إن الموقف يتدهور بمرور السنين، وهناك أزمة زواج في

(١) مجلة الفرحة – العدد ١٠ – يوليو ١٩٩٧م.

المجتمع الكويتي، يرجع ذلك بدرجة كبيرة إلى أن بعض الذكور الكويتيين يتزوجون من إناث غير كويتيات.

مفهوم العنوسة في المغرب

العانس في اللغة: هي المرأة التي طال مكثها في بيت أهلها، ولم تتزوج قط، وأيضًا يصح أن يقال للرجل: إنه عانس، ولكن المفهوم السائد يرى أن العانس هي امرأة.

وفي المعنى الشعبي: «**العانس هو شخص ذو عيب خلقي، أو خلقي يجعله حبيس الجدران**»، وفي بعض اللهجات الدارجة كالمغربية وغيرها يقال للفتاة العانس «بائرة»، وهي مشتقة من الكلمة العربية «**بارت الأرض**» أي فسدت، ولم تعد صالحة للزراعة.

وهناك محدد آخر لتعريف العنوسة يختلف حسب المحيط، ويتعلق الأمر بالسن؛ فالفتاة في القرية المغربية إذا تجاوزت سن العشرين تعد في نظر أهلها عانسًا، أو على عتبة العنوسة، وبالتالي وجب تصريفها بأي شكل، ولو على حساب أمور تعد أساسية في الحياة الزوجية، وهذا ما أكدته لنا السيدة «مليكة» التي تزوجت في هذه الفترة الحرجة بغير إرادتها: **لم أكن أفكر في الزواج، وليست لي رغبة فيه، لكن حدث ذات يوم أن فاجأني والدي بعريس، وكان قد تعاقد مع والديه، ولما استفسرت عن الأمر، أجابني: ليس عندنا بنات بائرين – أي: عوانس، وكانت سني حينها ست عشرة سنة، وتم تزويجي إياه، وأنجبت**

منه أربعة أطفال، وعمري الآن ثلاث وعشرون سنة ».

أما مجتمعات المدينة المغربية فتحدد الثلاثين فما فوق سنًّا للعنوسة؛ نظرًا إلى خصوصية فتاة المدينة المتعلقة بالدراسة والوظيفة.

وأحيانًا ترفض آنسات تجاوز سنهن الثلاثين سنة الزواج عن رغبة ودون إكراه، ويحصل أن تجد زوجًا بعد هذه السن، وخصوصًا إذا كانت مقبولة خلقًا وخلقة وجاهًا، كما هو حال «مريم» التي كانت رغبتها الأولى هي استكمال التعليم بالخارج، ولم تكن تكترث لسنها التي تتقدم لتجعلها رقما من الأرقام المخيفة للعنوسة: **«رغبتي استكمال دراستي بفرنسا، أما الزواج فهو نصيب، والحمد لله تزوجت هناك بفرنسي، ولنا ابن في الطريق وأنا الآن أشتغل ونتعاون معًا »**.

إن ظاهرة العنوسة في المغرب والتي لم تكن معروفة على الأقل بالشكل الحالي إلى عهد قريب هي نتيجة السياسة التي اتبعتها الدولة في المجال الاقتصادي والاجتماعي منذ الاستقلال إلى اليوم، والتي كان من ثمرتها تأخر سن الزواج والهجرة خارج البلاد، وبالتالي استفحال ظاهرة العنوسة.

وهنا أشير إلى أن المجتمع المغربي يحدد سن العنوسة بالنسبة للفتاة في العالم القروي في العشرين سنة، أما في العالم الحضري فقد تصل هذه السن إلى ثلاثين سنة.

ترى بعض الإحصائيات الصادرة عن المندوبية السامية للتخطيط أن العنوسة بين الفئات العمرية التي توجد بين الخمس عشرة سنة والأربع والعشرين سنة أصبحت تقارب مائة في المائة، مع العلم أن معدل سن الزواج في المغرب ارتفع لدى النساء إلى ثمان وعشرين سنة، أما بالنسبة للرجال فقد ارتفع إلى واحد وثلاثين سنة.

وظاهرة العنوسة تستفحل يومًا بعد يوم، وهي في تزايد مستمر، خصوصًا في ظل غياب أي مشروع لمحاربتها، ففي الرباط مثلا تم خلال سنة «٢٠٠١» عقد «٨٥٦٩» زواج، وفي نفس السنة وبنفس المدينة تم «٢٧٢١» حالة طلاق، من خلال هذا المثال البسيط يظهر هول الكارثة العنوسية التي تعيشها بلاد المغرب.

ولقد تحدثت بعض الدراسات عن ثماني ملايين من العوانس في المغرب، وهو رقم -إن صح- مخيف، خاصة إذا أضفنا إليه نسبة المطلقات، واللاتي غالبًا ما تغيب عندهن فرصة الزواج مرة ثانية للنظرة السلبية التي ينظر بها المجتمع إليهن، فيصبحن بحكم الطلاق عوانس.

إن للعنوسة أسبابًا متعددة تذكر على رأسها: غياب مطلق لوسائل الإعلام على صعيد التوعية بأهمية الزواج، وبخلاف ذلك حضورها المكثف في دعوتها لاستعمال وسائل منع الحمل، وهي دعوة ضمنية لنشر الفاحشة، والفوضى الجنسية، وطبيعي جدًّا في ظل ظاهرة العري الفاحش والزنا المباح،

وما يسمى بالسياحة الجنسية، أن يعزف الشباب عن الزواج؛ لأنه وجد البديل الذي يعفيه من التزامات مادية هو أصلًا غير قادر عليها، ولا يملكها، زيادة على غياب الوازع الديني لدى شريحة كبيرة من الشباب، دون أن ننسى غلاء المهور، والمبالغة في مصاريف الزواج ككل.

وإن كان ديننا الحنيف دعا إلى تيسر الزواج وحث عليه، فقد جاء في الحديث: «**إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(1) أو كما قال ﷺ.

ولقد زوج الرسول ﷺ صحابيًا بما يحفظ من القرآن، وفي هذه الأيام قرأت في إحدى المجلات أن يمنيًا زوج ابنته بخمس آيات استظهرها الزوج بحضرة القاضي كمهر العروسة.

إلا أن هناك عاملًا آخر ليس أقل أهمية وهو انتشار التعليم بين الإناث، وطول مدة الدراسة، وغياب ثقافة الجمع بين الدراسة وتكوين الأسرة، وسيطرة الأنانية وحب الذات، وعدم الرغبة في التضحية بالقليل من أجل الكثير لقلة الخبرة لدى الفتيات.

فإذا سألت إحداهن لماذا ترفضين الزواج؟ أجابتك وبدون تردد: كيف يمكن لي أن أسجن نفسي بين أربعة جدران من الآن، أنا ما زلت طالبة، ولا بد

---

(1) رواه الترمذي في سننه: ح(١٠٨٤)، وابن ماجه في سننه: ح(١٩٦٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة: ح(١٠٢٢).

لي أن أتخرج وأحصل على وظيفة، ولا تنس أن الوظيفة هي التي تأتي بالزوج من تحت الأرض، ثم إنني ما زلت أتمتع بحياتي، ولا أريد من الآن زوجًا يحصي علي أنفاسي، ويقضي على كل طموحاتي.

تلاحظ معي أن الجواب هنا يستند إلى العاطفة مع شيء من الاعتزاز بالنفس، وكأن لسان حالها يقول: أنا عملة صعبة مرغوب فيها في كل زمان، دون أن تحتسب المسكينة الزمان البيولوجي الذي يقضي على فرصة الإنجاب، وبالتالي العقم الذي يمكن أن يبدأ عند بعض النساء ابتداء من بلوغهن خمسًا وثلاثين سنة.

وعند ذلك تحرم وبصفة نهائية من الأمومة التي هي مطلب كل أنثى تنشد الاستقرار، والحياة الطبيعية.

والفتاة التي تعمل هي الأخرى لا تستعجل الزواج، إما لأنها تريد أن تستفيد باستقلالها المادي ولأطول فترة ممكنة، وبالنسبة إليها تستطيع الحصول على الزوج في الوقت الذي تريد؛ نظرًا لظروفها المادية التي تجعل منها زوجة مرغوب فيها في كل وقت، وإما أن الأسرة تريد أن تستغل ابنتها ماديًّا فتعمد إلى عرقلة الزواج بحجة أو أخرى؛ لأنها ترى فيها المصدر الوحيد لرزقها.

وهذه العوامل قد تكون هناك غيرها تتضافر كلها لتشكل ظاهرة العنوسة التي هي في تقديري طاعون لا يترك أخضر، ولا يابسًا.

في ســــوريــــا:

في العقد الأخير بدأ للعيان ظاهرة الفتيات اللاتي تتجاوز أعمارهن في المجتمع السوري والكردي بخاصة.

حيث كشفت الأرقام الرسمية المنشورة أن أكثر من خمسين في المائة من الشبان السوريين الذين وصلوا إلى سن الزواج عازفون عن الزواج - أو عجزوا عنه- بسبب عدم قدرتهم المادية على ذلك، وعدم توفر المسكن الملائم للزواج.

ووفقًا لأرقام المجموعة الإحصائية السورية لعام «١٩٩٥» فإن «٨٢.٤٪» من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين العشرين وأربعة والعشرين عامًا لم يتزوجن أبدًا، و«٦٠٪» من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن ما بين خمس وعشرين وتسع وعشرين عامًا لم يتزوجن أبدًا أيضًا، بينما بلغت نسبة اللاتي تخطين الأربع والثلاثين عامًا دون زواج «٣٧.٢٪»، ووصلت نسبة اللاتي تجاوزن تسعًا وثلاثين عامًا دون زواج إلى «٢١.٣٪»، وهو ما يعني أن أكثر من نصف النساء غير متزوجات.

وقد ظهرت الكثير من المشاكل النفسية عليهن، وفي التحقيق للوقوف على أوجه المعاناة التي تلقاها الفتاة الكردية في مجتمعها من خلال طرح بعض الأسئلة التي تشغل بالهن وبال المجتمع الكردي، فكانت أول الأسئلة:

١- ما هو برأيكن سبب التأخر في الزواج في المجتمع الكردي؟

٢- هل يمكن حل هذه المشكلة ؟

٣- كيف تنظر الفتاة العانس إلى قريبتها، أو أختها الصغرى مثلًا، وهي تعيش حياة امرأة عادية مع زوجها ؟

٤- ما الذي تقترحه الفتياتَ لحل هذه المشكلة ؟

• هيفين ع، أنا برأيي أن سبب التأخر في الزواج يرجع إلى الأسباب الاقتصادية بالدرجة الأولى، كما أن الشاب ليس مستعدًا في ظل الاحتياجات المتزايدة أن يتحمل عبء الزواج في عمر مبكرة، ويبحث عن فرصة عمل أكثر مما يبحث عن زوجة.

- يمكن حل هذه المشكلة عن طريق حل المشاكل الاقتصادية، وتأمين فرص العمل، ولكن مع ذلك يكون القطار قد فات الكثيرات من الفتيات، أنا كفتاة أنظر إلى المتزوجة نظرة شفقة في كثير من الأحيان، وأنظر إلى نفسي والأخريات أيضًا نظرة شفقة؛ لأن المرأة مظلومة بشكل كبير في مجتمعنا؛ فالشاب إذا وصل إلى عمر الثلاثين يفعل ما يريد، ولكن الفتاة ماذا تفعل؟ فكل حركاتها محسوبة، وخاصة بعد سن الثلاثين.

- اقتراحات كثيرة تدور في بالي، ولكن أبرزها التساهل في أمور الزواج، وبخاصة من ناحية تجهيز البيت، والمهر الذي يجعل الكثير

من الشباب يتراجعون عن الزواج – وفكرة أخرى: لماذا لا يقام فكرة الزواج الجماعي، كما حصل في حمص وبعض المحافظات الأخرى.

– سورية أ، سبب التأخر في الزواج هو آباؤنا وأهلنا، ولكن ماذا نفعل؟ تقدم لي الكثير من الشباب، ولكن أهلي رفضوا؛ لأن فلانًا ليس لديه إمكانيات مادية، وفلانا ليس من عائلة معروفة في المنطقة، وفلانا عمره يتجاوزك، وفلانا عمته كذا وخالته كذا؟ فهل هناك أسباب أكثر من هذه لأتجاوز الثلاثين، ولكنها. تضحك قائلة «لم أتجاوز الثلاثين بعد» يجب أن ينظر إلى الشاب بطريقة مجردة، مثلًا، إذا كان بإمكانه أن يسعد الفتاة ويستطيع أن يعيشها بطريقة شريفة، فهذا يكفي برأيي، أما بالنسبة لأختي الصغرى أحس بإحساس الأمومة من خلال أولادها، وهم جزء مني، مثلما هم جزء من أختي، ومع ذلك أحس في كثير من الأحيان بأن هناك شيئا ينقصني، وهذا النقص سببه أهالينا، وليس أحد آخر، والحلول بيدهم؛ فهم يستطيعون التساهل في أمور الزواج، وعدم تعقيدها، وهذه أفضل الحلول.

- وحيد ح: سبب تأخري في الزواج أنه كان هناك ابن حلال قد تقدم لي، ولكن أبناء عمومتي وقفوا في طريق سعادتي، وحيروني

«الحيار عادة اجتماعية، وهو يحق لابن العم أن يتزوج الفتاة ولو بالقوة، وهي موجودة بكثرة في الأرياف» علمًا بأنه كان متزوجًا، وعنده أولاد بعمري، وأنا الآن عمري يتجاوز الخامسة والثلاثين حتى سمعت من بعض أقربائي بأنه لا يقبل الزواج بي، علمًا بأن عمره يتجاوز الخامسة والخمسين الآن، هذا هو مجتمعنا، مجتمع الرجولة، وكأن الله خلقنا أن نكون كالجواري – الحلول كثيرة منها معاقبة هؤلاء في القانون إن اشتكت عليه فتاة تعرضت لمثل هذه الحالة، وتخفيض المهر.

- **مزكين طه**، طالبة خريجة جامعة تقول: في بداية حياتنا كنا نرفض كل من يتقدم لنا؛ وذلك على أمل بعد التخرج أن نتزوج بشاب من مستوانا العلمي، ولكن هيهات؛ لأن الشاب في مجتمعنا يبحث عن فتاة تصغره بعشر سنوات، ونحن بعد التخرج لم نهتم بأنفسنا وذلك للحصول على الوظيفة، ولكن وفجأة نسمع من أمهاتنا وأخواتنا بأننا كبرنا، عمر الثلاثين، أو الخامسة والثلاثين عمر عادي، ولكن في مجتمعنا – قبلنا أو لم نقبل – فإنهم يعتبروننا عوانس، ولكن أسبابا كثيرة تجعل هذه الظاهرة تكثر في المجتمع، منها: زواج الشباب من خارج مجتمعاتهم، مثلًا أغلب خريجي سوريا متزوجون من روسيات في مجتمعنا، ونسبة ليست بقليلة

متزوجون من المدن دمشق حلب ومدن أخرى.

- كما أن نسبة الهجرة إلى أوروبا وبخاصة ألمانيا كثرت في السنوات الأخيرة، أستطيع أن أقول بأن السبب هو الأوضاع الاقتصادية، وسيطرة الذكور على المجتمع، وهذه المشكلة بحد ذاتها، ولأننا نعيش في مجتمع الذكور يفرض علينا الكثير من الأشياء سواء اقتنعنا بها أم لا، لا أريد الالتزام بالأسئلة، بل الأسئلة تقيدنا أكثر مما نضع الحلول، ألا يمكننا القول إن المجتمع الغربي ليس لديه مشاكل من هذا النوع؛ لأن الفتاة تمارس الكثير مما تريد، وهي عارية، وتحاول دائمًا أن تصل إلى ما تريد عبر التجربة والقناعة، ولكنها عندما تتزوج فإنها تكون وفية لزوجها وبيتها، حتى في مجتمعنا يستطيع الرجل بعد الزواج أن يفعل ما يريد، ولكن الزوجة تقتل، فلماذا ؟؟

- **فضيلة خ** ، ربما تجاوزت الثامنة والثلاثين بصراحة، ولكني نادمة على الذين رفضتهم، حتى الأسوأ منهم؛ لأن مجتمعنا لا يرحم، أغلب الذين من جيلي لديهن بنات يحبون الآن، وربما تزوج الكثير من بناتهم، أي: أنني فتاة جدة، وهذه معادلة صعبة لا يمكن لفتاة أن تكون جدة، وهي لم تحس بالأمومة بعد، فماذا يمكننا أن نفعل؟ المجتمع الكردي منغلق بالنسبة للفتاة، أما الشاب فيمكنه أن

يتزوج ممن يريد، ويرضخ الأهل له في نهاية الأمر، ولكن الفتاة يجب أن تحافظ على نفسها – في كثير من الأحيان أحس بأن القطار لم ولن يتوقف في محطتي، كما أني مرتاحة جدًّا لزيارة أخواتي وإخواني وبأولادهم؛ لأني أحس بأنهم نعمة من الله؛ لا فرق بيني وبين أخواتي– كل المشاكل جاءت بفترة التسعينات، حيث الطفرة الاقتصادية في منطقة الجزيرة، حيث كان الكل يزايد على الكل بغلاء المهر، فمثلًا ابنة فلان مهرها وصل إلى «خمسمائة ألف ليرة» ولسنا بأقل منه عشيرة، أو نسبًا.

- ربما تكمن الحلول فينا، فنحن نستطيع أن نضع الكثير من الحلول، فمثلًا الشاب الذي طلبني لمرة ولو أنه متزوج يمكن أن يتزوج لمرة ثانية ويطلبني للزواج، بالرغم من مرور هذه السنين، أنا مع تعدد الزواج، الإسلام وضع الكثير من الحلول في مجتمعنا، فلماذا تقتل لأجل الشرف، ولا نسمح للزواج للمرة الثانية.

- بيت العوانس، يخفن كثيرًا من الأسئلة باعتباري إحدى قريباتهن دخلت معهن في نقاش في كثير من الأحيان كان عقيمًا- ست فتيات وأصغرهن في الثلاثين من عمرها الكل يعمل في الحقل وليس لديهن سوى أخ واحد.

- بذلن جهودهن لإنجاح الأخ الذي يدرس الجامعة وبين فترة والأخرى يزورهن لأجل المصروف الشهري فقط، يخفين الكثير من الأسرار فيما بينهن، وفي كثير من الأحيان تتكلم إحداهن باسم الجميع، ولكن مع ذلك تحس بعيونهن بأن هناك حزنا دفينا، أسباب مجملهن واحد وهو الأخ الصغير والوحيد بعد ممات والدهن، ولم ترض أي واحدة منهن بالهوان، والكل ضحى لأجل الواحد، ولكن الواحد أصبح كارثة، يرفض من يريد، حتى أنه تسبب في إفشال خطبة إحدى أخواته من ابن عمها، ومع ذلك الكل يحلف برأس محمد الذي قلب حياتهن إلى روتين ممل.

تقول الكبرى لن أقبل بأي زوج إذا لم يكن أخي مهندسًا، ولكنها تدرك أن القطار فاتها، وتقول: ربما أقبل هذه المرة برجل أرمل، تقول وداد: إن أخاها أمل الأسرة لن تقبل إلا بشاب متعلم، ومع ذلك جاءها فرص كثيرة وتندم على ابن عمها الذي تحكم بمصيرها أخوها الصغير والذي كان حينها في الصف الحادي عشر، ومع ذلك الكل رد السبب إلى المجتمع الكردي الذي تتحكم فيه العشائر – والحلول تكمن برأيهن في اختفاء جيل، أو جيلين.

ومن ذلك يتضح أن المجتمع الكردي يتسم بعدة ظواهر ساعدت

على انتشار ظاهرة العنوسة منها:

١- تخلف المجتمع الكردي بشكل عام.

٢- غلاء المهور بين فئات المجتمع الكردي.

٣- العادات العشائرية البالية ومنها «الحيار».

٤- ارتفاع نسبة سن الزواج بين الشباب، وزواج أغلبهم من خارج المجتمع الكردي.

٥- انغلاق المجتمع الكردي، وبخاصة في مسائل الزواج بالفتاة.

٦- غياب دور منظمات المجتمع المدني والأحزاب.

ويمكن معالجتها عن طريق:

١- إعطاء حرية الاختيار للفتاة، وبخاصة بعد بلوغها سن معينة.

٢- توفير السكن والعمل للشباب والشابات للتشجيع على الزواج «قروض الزواج كانت خطوة صحيحة في هذا المجال، ولكنه توقف».

٣- التساهل في أمور الزواج: المهر والأشياء الجهازية.

٤- تشجيع الزواج الجماعي، والسكن في المجمعات.

في العـــــراق:

يشهد المجتمع العراقي درجة عالية من العنوسة وتأخر سن الزواج بين أعمار «١٨ :٤٥» سنة.

وذكرت جريدة «الجيران» بتاريخ «٥/ ١٢/ ٢٠٠٢» إحصائيات تقول فيها: «إن نسبة الفتيات العوانس في العراق تزيد على «٣٠٪» وأصبحت فئة كبيرة من الفتيات العراقيات يشعرن أنه لم يعد مقبولًا أن ينتظرن حتى يأتيَ إليهن شخص يتقدم للخطوبة، أو الزواج؛ لأنهن قد ينتظرن طويلًا جدًّا.

فبدأن يسعين للمبادرة في إقامة علاقات مع الشباب، ويحدث هذا بعيدًا عن أنظار العائلة، فهن يحاولن أن يجذبن انتباه نظر الشاب سواء بلبسهن أحيانًا كثيرة في المبالغة بالاحتشام، أو بمشيتهن، أو بسلوكهن.

إنهن يعتقدن أن هذه هي وسيلة للفت انتباه الجنس الآخر، وهذا كله يأتي من خوفهن من شبح العنوسة، وأحيانًا يدفعهن هذا لسلوكيات غير مقبولة مع الأسف.

هذه الظاهرة لم تكن موجودة بهذا الشكل في الثمانينات وما قبلها في العراق. اليوم لا تكاد تخلو عائلة عراقية من عدد العوانس في البيت، أو عدد أقل منه من العزاب ضمن محيط القرابة العائلية.

خسر العراق شبابه بسبب الحروب التي فرضت على أبناء شعبه أولًا، ثم على الدول الجارة ثانية.

وتفيد بعض الإحصائيات أن العدد الذي فقد من الشباب فقط في هذه الحروب هو أكثر من مليون، إذن أصبح لدينا مليون امرأة شابة تنتظر زوجًا لا تستطيع أن تحصل عليه.

واليوم تشكل المرأة العراقية «٦٠٪» من سكان العراق، إذن الفارق الكبير يفرض علينا إيجاد بعض الحلول للتخلص من هذه الظاهرة المريضة في المجتمع.

تلت الحروب الحصار القاسي الذي طال ثلاثة عشر عامًا، لم يكن عند الشاب العراقي أي مورد مالي ليفكر ببناء عائلة حتى عام «٢٠٠٣»، إن أعلى نسبة للزيجات منذ ثلاثة عشر عامًا هي عام «٢٠٠٤»، ولا زالت نسبة العنوسة عالية، ومن أهم أسبابها:

١- الأسلوب التقليدي بالزواج وهو عن طريق الخطوبة يتقدم الشاب لخطبة الفتاة، تجرى المباحثات في العائلة، الكل يتدخل الكبير والصغير من النساء والرجال والمعني به «الفتاة» هي آخر من يقرر، أو ربما لا تقرر، فهي تستلم الأوامر فقط. الحجج كثيرة: مثلًا من يقول الخاطب كبير السن، أو فقير، أو أنه لا ينحدر من عائلة جيدة، أو متدين ومتشدد، أو غير متدين، أو أن أهله غير جيدين، أو ليس له شهادة جيدة، أو

سكنه غير لائق، أو قصير، أو طويل. وهكذا تطول القائمة، وهذه المسكينة تسمع فقط. ويرفض الشاب بتقديم طلبات تعجيزية أمامه. ويضع ولي أمر الفتاة شروطًا تعجيزية على العريس القادم، ومنها أنه يطالبه بمهر عال جدًّا والحجج كثيرة.

يظلم الأب، أو أهل البنت الفتاة نفسها؛ لأنها لم تعط أية فرصة لتقرير مصيرها، فهي التي ستتزوج، وهي التي ستعيش مع هذا الرجل.

وهي التي ستنجب أطفالًا من هذا الرجل، وتربيهم، وأخيرًا هي التي ستبني العائلة الجديدة وليس والدها، أو أي ولي أمر يتحكم بمصيرها، وهي أحيانًا كثيرة تشعر بالغبن، لكن لا حول، ولا قوة لها. إنسانة مغلوبة على أمرها. وإذا كان لها رأي أيضًا لا تتلقى التشجيع الكافي من العائلة، وكأن العائلة كلها ستتزوج هذا الرجل. الغالبية من الشابات لا يملكن الشخصية القوية التي تفرض رأيها، وتقول بإصرار أنا أقبل بهذا الزواج. فينسحب المسكين بكل اقتدار، وهو منكوب وخائف من الإقدام على الخطوبة ثانية.

٢- يطلب أهل البنت والعروسة أن يقام العرس في أضخم

المطاعم، أو الفنادق، وبعدها يطالب العريس بشهر عسل، مما يكلفه مبالغ فوق طاقاته المادية، هذا مما يسبب مشاكل عويصة بين الطرفين، وأحيانًا يعمل على هدم الخطوبة، ورفض الشاب الزواج، وتبقى هذه الفتاة ضحية المفاهيم الحضارية المتطرفة، ولن يتجرأ شخص آخر للإقدام على الخطوبة منها، كما أن فشل الخطوبة تعتبر نقطة ضعف في تاريخها الشبابي. وهذه الظاهرة ليست فقط في العراق، وإنما معظم المجتمعات في المنطقة تعاني منها، في غالبية الريف العادات القديمة تبقى هي السائدة على المجتمع، البنت ليس لها رأي بالزواج، وليّ الأمر هو الذي يقرر من تتزوج.

كثير من الآباء يقول: بنتي لولد عمها «مركتنا على زياكنا» لا أعلم إذا يفهم هذا المثل للقارئ. حالات كثيرة الولد لا يرغب الزواج، ولا يتجرأ أحد من المغترب والمهجر أن يتقدم لخطبة هذه الفتاة، وتبقى تنتظر حتى تكبر، وهي تفكر من أين يخلق ابن عم جديد ويتقدم للخطوبة؟ ناهيك أن نظام النهوة الذي كان موجودًا في الريف، وما زال لابن العم الحق أن ينهي أي زيجة لو أرادت أن تحصل «هذا ابن العم له الأحقية الأولى في الزواج» وإذا كانت الفتاة جريئة ورفضت هذا

الزواج تبقى عانسًا دون أن يتقدم شخص للزواج منها إلا ما ندر.

٣- نسبة البطالة العالية بين الشباب لكلا الجنسين هي السبب في تأخير الزيجات؛ لأن المهر ومصاريف الزواج يتحمله الشاب. هنا سبب مادي.

٤- كثيرًا ما يطالب الشاب والبنت لإكمال دراستهم، ويؤجلان الزواج حتى التخرج من الجامعة. أحيانًا تفقد الفرصة؛ لأن الذي خطبها مرة كانت مقتنعة به، لكنها لم تفكر بأن الفرصة لن تتكرر بنفس المواصفات، وبذلك تكون قد خسرت فرصتها الذهبية؛ لأنه لم ينتظرها. لعلاج هذه القضية ممكن أن يتم الزواج حتى أيام الدراسة. مع الاتفاق بالانتظار حتى إنهاء الدراسة لإنجاب الأطفال.

٥- ربما يرتبط الولد، أو البنت بعلاقة حب، ويتفقان على الزواج، لكن يفاجأ أن عائلة أحدهما تمنع هذا الزواج. ودائمًا في هذه الحالات البنت هي التي تكون الضحية تمتنع عن الزواج من شخص آخر، أو لا تستطيع أن تجد فرصة ثانية. فتبقى عانسًا في البيت.

٦- يحاول الأهل جعل بنتهم وسيلة للمتاجرة والمفاخرة للحديث

في مجالس الآباء والأمهات عن ضخامة المهر، دون التفكير عن عواقب ذلك. كل هذا تعمله الأم للحديث في المجالس النسوية والمشاطرة بما اشترت لبنتها، وهكذا يعمل الأب في مجالس الرجال يتحدث عن بنته، وكيف زودها عريسها القادم بمهر عال وأثاث غالية وبيت منفرد ... الخ من الأحاديث المصطنعة. والضحية هي البنت في كل الأحوال.

في الأردن:

زادت نسبة العنوسة نتيجة العديد من العقبات التي تقف في طريق الزواج، كما ذكر عدد من أعضاء مجلس النواب الأردني في جريدة المسلمون وأثار النواب الأردنيون موضوع الإسكان كعقبة يشكو منها الراغبون في الزواج الذين يصطدمون بعدم القدرة على الشراء، أو استئجار الشقق للسكن بسبب الارتفاع الجنوني للأسعار.

وقد طالب أعضاء البرلمان بتسهيلات عامة لتمكين الشباب المقبلين على الزواج من دفع الأثمان، أو الأجور بأقساط مريحة، حيث إن معدل الراتب ما بين «١٢٠ و١٥٠ دينارًا»، فكيف يستطيع الشاب تأمين منزل الزوجية؟ فقد لا يكفي الراتب لدفع الأقساط والإيجارات، ويؤخر عدم الحصول على المساكن الزواج حتى أصبح معدل العمر للرجل الأعزب يزيد على خمسة وعشرين عامًا.

وتشكل قضية السكن مشكلة اجتماعية لمن لا يرغبون في السكن في بيت

العائلة، كما تعد المغالاة في المهور مشكلة كبيرة، وتجهيز الزوجة والسكن، وأيضًا المغالاة في نفقات الأعراس والحفلات التي تقام بمناسبة الزواج.

وحث الأعضاء في مجلس النواب الموسرين على أن يكونوا القدوة في اختصار النفقات، وعدم البذخ فيها؛ لأن المشاكل التي تشهدها المحاكم الشرعية سببها عدم القدرة على الوفاء بالديون الناشئة عن الحفلات في أول الحياة الزوجية، وأظهرت الدراسات أن ظاهرة العنوسة آخذة في التفاقم بعد أن ارتفع متوسط سن الزواج في عام «١٩٩٨م» إلى ثمان وعشرين عامًا للذكور، والإناث خمس وعشرين عامًا، في حين أنه كان في عام «١٩٦١» هو عشرين عامًا للذكور، والإناث سبعة عشر عامًا.

وحسب تقرير صادر عن «جمعية العفاف الخيرية» فإن نسبة السكان المتزوجين من الذكور انخفض من «٦٠٪» عام «١٩٧٩» إلى «٥٠٪» عام «١٩٩٨م»، وازدادت نسبة العازبين من «٣٨٪» عام «١٩٧٩م» إلى «٤٨٪» عام «١٩٩٨م».

في الجزائـــــر:

ذكر الديوان الجزائري للإحصاء أن أكثر من «٥١٪» من نساء الجزائر الذين بلغن سن الإنجاب واجهن خطر العنوسة وأن أربع ملايين فتاة لم يجدن من يتزوجهن رغم تجاوزهن أربعًا وثلاثين سنة.

كشفت دراسة حديثة أن نسبة العنوسة بين فتيات الجزائر تصل إلى «٣١.١٪»، فيما تبلغ نسبة المطلقات «٣٦.٩٪»، بينما كانت نسبة المتزوجات «٢٩.٤٪»، وكلهن يتعرضن للضرب من قبل أزواجهن.

وأوضحت الدراسة التي أجريت بالاشتراك بين خبراء من «منظمة التنمية التابعة للأمم المتحدة» وباحثين جزائريين أن «٧٧.٥٪» من السيدات محل الدراسة تعرضن للضرب، وتم نقلهن للمستشفيات، وأن «٧٦.٦٪» من بينهن ما زلن محتفظات بآثار هذا التعدي.

وبينت أن المرأة الجزائرية تعامل معاملة سيئة من قبل الرجل، سواء أكان الأب، أو الزوج، أو الأخ.

وقد أرجع «٦٤٪» من السيدات محل الدراسة سبب عنف الرجال تجاه المرأة الجزائرية إلى أنهن عاطلات، فيما أرجع «٣.٥٪» منهن ذلك إلى مفهوم «الرجولة»، حيث يعتقد الرجل الجزائري أن إهانة الزوجة تمثل الرجولة والغيرة على منزله، بينما أرجعت «١٠.٢٪» السبب في ذلك إلى المشاكل الاجتماعية، كالفقر والمرض.

كما أوضحت نتائج الدراسة أن السيدات المتعلمات اللاتي يتقلدن مناصب مسئولة في الدولة يسعين إلى التحرر من سيطرة الرجل، والحصول على استقلاليتهن، وعلى النقيض فإن غير المتعلمات واللاتي بلغ عددهن نحو «١٨٪» من السيدات محل الدراسة ارتضين هذه المعاملة، قائلين: إن الأب والأخ هما

المسئولان عن الفتاة من سن العشرين وحتى الزواج، حيث تنتقل السيطرة إلى يد الزوج.

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها الأولى من نوعها التي تتحدث عن أوضاع المرأة الجزائرية بحرية كاملة.

يشار إلى أن ظاهرة العنوسة المتفشية في الجزائر تعود للأوضاع الاقتصادية القاسية التي يواجهها اقتصاد البلاد منذ بداية الاضطرابات عام «١٩٩١م»؛ وهو ما تسبب في زيادة البطالة وهجرة بعض الجزائريين لأوروبا للبحث عن عمل.

في تونـس:

حذرت دراسة لمنظمة حكومية تعني بشئون الأسرة من خطورة ظاهرة ارتفاع العنوسة في تونس، معتبرة أن ارتفاع هذه الظاهرة لها انعكاسات على الخصوبة.

وقالت دراسة للديوان التونسي للأسرة والعمران البشري إن مسحًا أجري بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة، كشف أن عزوبة الإناث في تونس قد بلغت معدلات مرتفعة، وباتت تشمل نصف الإناث في البلاد، وحدد الديوان أن عنوسة النساء تكون في عمر يتراوح بين خمسة وعشرين وأربعة وثلاثين عامًا، واعتبرت الدراسة أن الأمر سيسفر حتمًا عن نتائج سلبية جدًّا على مستوى الخصوبة.

كما أن نسبة كبيرة من النساء المتزوجات ممن هن دون سن الخمسين شارفن على انعدام الخصوبة بسبب تأخر الزواج إلى ما فوق «٣٠» عامًا مما يجعل نسبة الفئات الأكبر سنًّا والأقل خصوبة من بين النساء المتزوجات في سن الإنجاب تصل إلى ٤١ بالمائة.

كما أن آخر عملية مسح للسكان في تونس في عام «٢٠٠٠» بينت تأخر سن الزواج، حيث تبين أن نسبة الرجال غير المتزوجين الذين تتراوح أعمارهم بين «٢٥ :٢٩ سنة» قد مرت من «٧١٪» خلال عام «١٩٩٤» إلى نسبة «٨١.١٪»، أما في صفوف النساء فقد بدأ الأمر للبعض مثيرًا أكثر للقلق، حيث قفزت نسبة الإناث غير المتزوجات، واللاتي تتراوح أعمارهن بين «٢٠ :٢٤ سنة»، إلى حدود «٧٩.٧٪» من مجموع هذه الفئة العمرية.

أما الإناث اللاتي يتراوح سنهن بين «٢٥ :٢٩ عامًا»، فقد بلغت نسبة العازبات منهن «٤٧.٣٪» من المجموع الإجمالي لهذه الشريحة.

في السـودان:

على الرغم من أن ظاهرة العنوسة في السودان لم تصل بعد إلى المستوى الذي بلغته في دول أخرى، إلا أن من يراقب التطورات التي يمر بها المجتمع السوداني يلحظ ازدياد معدلاتها في الأعوام الأخيرة، مما يستدعي من الجميع الوقوف مليًّا لتدارك هذه الظاهرة والبحث في أسبابها؛ لأنها لا تقل خطورة وتأثيرًا عن بقية الظواهر الفتاكة التي تقوض بنيان المجتمع. وللوقوف على

الأسباب الحقيقية لظاهرة العنوسة والعوائق التي تحول بين الشباب وإكمال نصف دينهم؛ نسلط الأضواء من خلال هذا التحقيق على هذا الشبح الذي يخشى الكثيرون من الحديث عنه باعتباره عيبًا اجتماعيًّا يسيء إلى سمعة العائلة، رغم أنه بدأ يطرق الأبواب في السنوات الأخيرة وإن أصر الناس على تجاهله!!

قبل عدة سنوات، نشرت جريدة «الخليج الإماراتية» في عددها «٨٨٤١» تقريرًا قالت فيه: إن عدد المتزوجات من جملة نساء السودان بلغ في شمالي البلاد حوالي «٦ ملايين و٣٧٥ ألف و٨٩ امرأة»، ولم يتطرق التقرير بصورة مباشرة إلى عدد النساء غير المتزوجات، إلا أنه أورد أن عدد النساء في الفئة العمرية للزواج من «١٥ : ٤٩ سنة» قد وصل إلى «٧ ملايين و٥١٣ ألف امرأة»، مقابل «٣ ملايين و٦٥٠ ألفًا» من الرجال لنفس الفئة.

وقد كشف هذا التقرير واقعًا خطيرًا لم يسبق أن عاشه المجتمع السوداني، حيث أظهر الفجوة الهائلة بين الرجال والنساء غير المتزوجين «**امرأتين مقابل رجل واحد**».

ونتعرف على حجم المأساة من خلال هذا الاستطلاع التي نشرته صحيفة «الخليج العربي»(١).

عباس عبد الله «طالب»: من أهم الأسباب التي تقف عائقًا أمام الزواج؛

---

(١) صحيفة الخليج – الإمارات العربية المتحدة – العدد ٨٨٤١.

الحالة الاقتصادية التي نعيشها، والأوضاع الصعبة التي نمر بها، حيث يعاني أغلب الشباب الآن من عدم توفر فرص للعمل، ولا يوجد لديهم مصدر آخر للدخل.

محمد الماجد «خريج»:

يقول: إن الوضع الاقتصادي هو السبب الأساسي لعزوف الشباب عن الزواج، ويضيف أن الشاب الآن لديه صف طويل من الالتزامات عليه الوفاء بها قبل التفكير في الزواج، فالشاب عليه بمجرد تخرجه أن يبحث عن وظيفة، ومن ثم المساهمة مع أهله في تحمل مصاريف المعيشة، وما يتبعها من واجبات، بالإضافة إلى حاجياته الشخصية البسيطة، ناهيك عن الأحلام والطموحات الكبيرة التي تراود كل شاب.

عبد المعين عابدين «موظف»:

إن الحالة الاقتصادية ليست شماعة يعلق عليها الناس كل المشاكل التي تواجههم، وإنما هي واقع يجابه الناس، ويتمثل في قلة الدخل، وارتفاع أسعار المعيشة، وكثرة متطلبات الحياة، وهذا واقع فماذا يفعل الشاب الطامح في الزواج حياله؟!

محمد حسن علي «خريج»:

يحكي لنا تجربته، حيث ذكر أنه تخرج، ولم يجد عملًا، لكنه ذهب خطوات

في مشروع الزواج، وأن الشباب متهيب من مسألة الزواج، ويضع لها مخاوف ومحاذير أكبر من ما تستحقه.

هادية علي «موظفة»:

ترى أن العادات والتقاليد المتبعة في الزواج في السودان سبب رئيسي في انتشار العنوسة، فمتطلبات الزواج كثيرة ومكلفة، ولا يستطيع الشباب أن يفوا بها، وتقول: إن المجتمع السوداني ألف هذه العادات، بل وتجذرت فيه، ولا يمكن التخلي عنها بسهولة، مثل: «**قولة الخير – سد المال – الشبكة – الشيلة – الزفاف**» هذا غير الحفلات المصاحبة لمراسم الزواج.

وأضافت أن الأمر لو ترك للشاب والفتاة لوحدهما لاستطاعوا أن يتخطوا كل هذه المسائل الطويلة في سبيل الزواج والاستقرار.

مهتدي إبراهيم «طالب جامعة النيلين»:

يرى أن المجتمع السوداني فيما يتعلق بأمر الزواج تشوبه بعض القبلية والعنصرية، وأن بعض القبائل لا تقبل الزواج من بعض القبائل الأخرى، وهذا يساهم في زيادة نسبة العنوسة.

صفاء عبد اللطيف «طالبة»:

ترى أن سطوة الأب وتحكمه في قرار الزواج من أسباب العنوسة؛ إذ أن الأب يريد أن يفرض رجلًا معينًا على الفتاة، ولا يدع لها حرية الاختيار، وهذا

ينعكس سلبيًّا على رغبة البنت، وقد تصل إلى حد تفضيل العنوسة على الزواج من شخص لا تحبه!!

أنس الأمين «موظف»:

يرى أن البنات هم السبب وراء عزوف الشباب عن الزواج؛ إذ إن طموح الفتاة أصبح كبيرًا، وكل فتاة تريد أن يصبح زوجها غنيًّا جدًّا، وإذا تقدم إليها شاب طموح لكنه ليس غنيًّا فهي لا تقبل به، ولا ترى فيه فتى أحلامها.

لاشك أن الانفتاح الذي شهده العالم وتطور وسائل الإعلام قد أثر تأثيرًا مباشرًا على سلوكيات الناس وأنماط حياتهم، فدخلت مفردات جديدة على المجتمع لم تكن مألوفة من قبل، وأضحت الثقافة الوافدة عبر وسائل الإعلام هي الثقافة المتبعة، والتي يجب أن تتبع، وهذا ما ظهر جليًّا في ثقافة الزواج؛ فأصبح الناس -وخصوصًا البنات- يقلدون ما يأتيهم عبر وسائل الإعلام، ويريدون لزواجهم أن يتم وفقًا لما رأوه وشاهدوه، وهذه الثقافة الوافدة لا شك لا تتلاءم وطبيعة مجتمعنا، مما يحدث فجوة بين ما يطمح الشاب والفتاة إلى تحقيقه وبين واقعهم.

وهذا الكلام يمكن أن يقودنا إلى مسألة مهمة في الزواج حسب التصور الإسلامي، وهي القناعة، فإذا توفرت القناعة لدى طرفي الزواج يصبح الزواج ميسرًا وسهلًا: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ....

[النور: ٣٢]، فبعد ذلك يمكن للشاب والشابة أن يبنوا حياتهم خطوة خطوة حتى يصلوا إلى ما يطمحون إليه.

محمد عثمان خليل «مهندس»:

يعتقد أن العقلية العربية لا تؤيد فكرة القناعة، وتعتبر أن الزواج هو نهاية المطاف، وأنه المعوق الأساسي لطموح الإنسان، ويرونه مقبرة لـ «الحب بين الجنسين» بينما هو في الحقيقة بداية لمشروع حب شرعي وأخلاقي.

بعض الناس تتوفر لديهم سبل الزواج من مال وغيره، لكنه يسيطر عليه هاجس اختيار شريكة حياته، فالكثيرون لا يرون في بنات اليوم فتاة أحلامهم وأم أولادهم، ويرون أن البنت اليوم لا تستطيع أن تتحمل مصاعب الحياة ومشاكلها، وبالتالي لن تكون سندًا لزوجها في حالك الظروف وسواد الأيام، ولسان حالهم كقول الشاعر:

لَيسَ الْفَتَاةُ بِمَالِـهَا وَجَمَالِـهَا كَلَّا وَلَا بِمَفَاخِرِ الْآبَاءِ

لَكِنَّهَا بِطُهْرِهَا وَعَفَافِهَا وَصَلَاحِهَا لِلزَّوْجِ وَالْأَبْنَاءِ

وَقِيَامِهَا بِشُئُونِ مَنْزِلِـهَا وَأَنْ تَرْعَاكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

أصبحت مشكلة السكن الآن الهاجس الأكبر الذي يسيطر على معظم الشباب، ويحول دون بلوغ مرامهم في الزواج، فالارتفاع الجنوني والخرافي في الإيجار، خصوصًا في الخرطوم، أصبح شبحًا يراود كل أسرة تحلم بالعيش

الكريم، فالأفضل -حسب البعض- للأسرة أن تذهب إلى خارج السودان وتسكن بعيدًا عن أهلها من أن تجد ملجئًا يؤويها داخل الخرطوم، أما إذا أرادت أن تمتلك بيتًا فالأفضل لها أن تسأل عن أسعار المنازل في «لندن وباريس» قبل أن تفكر في ذلك في الخرطوم!!

ومسألة السكن هي المسألة الأهم في الزواج، وبدونها يصبح الحديث عنه ضربًا من الخيال والجنون، كما يرى الكثير من العازبين، وبها يحس المرء أن له كيانًا خاصًا، ويتحقق به معنى السكن الحقيقي: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ .... [الروم: ٢١].

مهند محمد نور «طالب كلية الآداب، جامعة الخرطوم»:

زيادة نسبة النساء للرجال أصبحت ملحوظة في كل مكان، ولا نحتاج إلى كثير عناء لكي نتأكد من هذه الحقيقة، فالجامعات أصبحت نسبة البنات فيها كبيرة، ولا يمكن مقارنتها بنسبة الأولاد، وكذلك الأمر في دواوين الحكومة، وكذلك الأمر في بقية الكليات التي تزيد فيها نسبة البنات عن الأولاد بشكل ملحوظ.

أحمد علي «أعمال حرة»:

الشباب أصبح شبابًا غير مسئول، وأصبحوا ينشغلون بأمور انصرافية،

لذلك لا يفكر الشباب في الزواج؛ لأنه لا يريد تحمل المسئولية، بالإضافة إلى التطور التكنولوجي الذي وفر قدرًا من الإباحية؛ مما جعل الشباب يتلهى بها وينصرف بها عن الزواج.

هادية أحمد الكنـز «صحفية»:

إن الشباب أصبح يبحث عن المتعة الرخيصة، ولا يفكر في الزواج، وهذا يرجع إلى انعدام المسئولية عند الشاب، وتفضيله العيش حرًّا بعيدًا عن ارتباطات الزواج وقيوده.

وتقول **«الدكتورة أمل بادي أستاذة التاريخ بكلية الآداب جامعة الخرطوم»** عن الأضرار التي تعود على الفتاة من خلال العنوسة، فأجابت: بأن حرمان الفتاة من الزواج يؤدي إلى إفرازات نفسية واجتماعية كبيرة، فالفتاة التي حرمت من هذا الحق الشرعي تعاني من أزمات نفسية تؤدي إلى انعزالها، وأحيانًا إلى عدوانيتها تجاه المجتمع الذي تعتقد أنه حرمها من هذا الحق، وربما يؤدي هذا الأمر إلى تغير في سلوكها، وبالتالي انحرافها.

ومن أهم الخطوات لمعالجة ظاهرة العنوسة:

لقد انتشرت في السودان في الآونة الأخيرة ظاهرة الزواج الجماعي، والتي تهدف إلى تيسير الزواج وتسهيله عبر تقديم الدعم لهم ومساعدتهم في أمور الزواج، وقد وجدت هذه الظاهرة ترحيبًا وإشادة من الكثيرين باعتبارها عملًا

من أعمال الخير يجب تشجيعه، وترسيخًا عظيمة يفتقدها المجتمع، ولكنها في المقابل لم تسلم من النقد، ولم تجد لها صدى في نفوس الكثير من الشباب، حيث يرون أن الزواج الجماعي لدى العاجزين هو حل لمشكلة العنوسة، لكن الكثير من الشباب لديه طموح، ويرى في الزواج الجماعي أنه لا يحقق طموحه، ويفضل أن يبقى سنوات عازبًا من أن يقبل على الزواج الجماعي.

إن الزواج الجماعي يعد حلًّا جزئيًّا لمشكلة الزواج، وليس حلا جذريًّا؛ فالمشاكل التي تحدث بعد الزواج أكبر، فكيف يستطيع الشاب أن يصرف على بيته إذا لم يتوفر له مصدر دخل. ويضيف أنه شخصيًّا يرفض مثل هذا الزواج، وإذا فكر يوما بأن يتزوج مثلا هذا الزواج فسيعتبر نفسه أنه وصل إلى مرحلة الفشل!!

يعتبر التعدد في الزواج أحد الحلول التي يمكن أن تساهم في التقليل من ظاهرة العنوسة في المجتمع السوداني، وبما أن التعدد قد يقابل بنوع من التحفظ، أو الرفض؛ إلا أن الواقع قد يفرض على الكثيرين القبول به، والأصل في الزواج التعدد، كما ذكر في القرآن الكريم: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ .... [النساء: ٣].

ويلاحظ مؤخرًا أن بعض الفتيات أصبحن يقبلن بالزواج من رجال

متزوجين، ولا يجدن حرجا في الأمر، ولا يمكننا القول إزاء ذلك إن الأمر أصبح ظاهرة في المجتمع السوداني، إلا أنه يعد مؤشرًا على التغير الذي طرأ على سلوك الفتيات من جراء خوفهن من دخول عالم العنوسة من أوسع أبوابه، ولم يقف التغير عند هذا الحد، بل أصبح بعض النسوة يغنين له - أي: الرجل المتزوج - أغنية: «راجل المرأة» مثالًا، وهذا التغيير يستدعي الدراسة والتمحيص بعد أن كانت النساء يتمنينه عضوًا في هيئة التدريس!!

يتكون هذا الفصل من المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعدد أسباب العنوسة

المبحث الثاني: دور الأسرة في العنوسة

المبحث الثالث: مساهمة الشباب في العنوسة

المبحث الرابع: القابلية للعنوسة

الفصل الثاني

الأسباب التي أدت إلى انتشار العنوسة

المبحث الأول : تعدد أسباب العنوسة

تتعدد الأسباب وتتداخل مع بعضها البعض في تفشي ظاهرة العنوسة واستفحال شوكتها من أسباب تتعلق بدور الأسرة والشباب والفتيات، وكذلك المجتمع بنظمه وتقاليده وتنشئة أفراده، وبما يبثه من ثقافة في عقول أبنائه سببًا في ازدياد ظاهرة العنوسة، وكذلك الأسباب المادية والدينية والتربوية، والعادات والتقاليد، وغيرها من الأمور التي تسهم بشكل، أو بآخر في اتساع رقعة هذا المرض اللعين الذي يدق كل باب.

ونستعرض هذه الأسباب فيما يلي:

أولًا: الأسباب المادية:

- ضعف الدخل العام للشباب، خاصة مع تفاقم البطالة في معظم المجتمعات، وتقلص فرص العمل التي أصبحت هاجسًا يؤرق كل طالب عمل، ومحدودية الفرص الوظيفية للنساء، ونمطيتها التقليدية صارت إطارًا لا يبدو الخروج منه سهلًا، أو قريبًا، ومن ثم حالت البطالة دون حصول الشاب على فرصة عمل تدر عليه دخلًا ثابتًا يمكنه من تحمل أعباء الزواج. وإذا وجد الشاب عملًا فإنه يتعذر عليه العثور على مسكن ليتزوج فيه. وهكذا يمتنع عن الزواج ما دام غير قادر ماديًا.

- غلاء المعيشة وارتفاع تكاليف الحياة، ومنها تجهيزات الأفراح، والمغالاة في المهور، وتكاليف تأثيث البيت والإنفاق على الأولاد، وهي أمور تدعو إلى إحباط الشاب يصرفه عن التفكير في الزواج، أو في استغراق وقت وجهد في التوفير والاستعداد.
- الإكثار من الطلبات على الشاب المتقدم للزواج، وتحميله وتكليفه مصاريف فوق طاقته تفرضها عليه الأعراف الاجتماعية السائدة، مما يجعله يعزف عن الزواج، أو يعمل على الاقتران بفتاة من الخارج.
- تحميل الفتاة وأهلها -كما في بعض البلدان- جزءًا كبيرًا من تكاليف ومصاريف الزواج، وفتح البيت، مما يثقل كاهل ولي الأمر، خاصة إذا كثر عدد بناته، حيث إن جميع الأجهزة والأشياء التي كانت تعد سابقًا من الكماليات أصبحت اليوم من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها حتى وإن كان أغلب الناس غير قادرين على توفيرها.

لقد أصبح المجتمع العربي يتخبط بين عاداته وتقاليده وبين مفاهيم الحضارة، وتجسد ذلك في عدم تفهم الأسر للتحولات الاقتصادية وما صاحبها من أزمات وتغيرات اجتماعية، فهي لا تزال تطالب من يتقدم للزواج من بناتها

بمطالب يعجز عن تلبيتها، ومن ثم تحولت مشكلة العنوسة وفقًا لهذا الاتجاه إلى مشكلة مادية بحتة نتيجة التغيرات الحادة التي طرأت على تفكير أغلب الناس، ونظام الحياة بشكل عام، بحيث لم تعد الفتاة اليوم تحلم بالفارس الذي يحملها على الحصان الأبيض، ولم تعد تهتم بقوة شخصية الرجل، وإنما أصبح جل اهتمامها منصبًّا على قدرته على توفير حياة مرفهة لها.

ثانيًا أسباب تربوية:

- غياب الوازع الديني، وانتشار التحلل في المجتمع يتيحان لبعض الفئات من الجنسين تلبية حاجاته الغريزية خارج نطاق المؤسسة الزوجية.
- كثرة المشاكل المتعلقة بالطلاق والتفكك الأسري، والنزاعات الزوجية، والخيانات التي تكره البعض بالزواج، أو تخوفه منه.
- تساهم وسائل الإعلام من خلال برامجها وأفلامها في تكريس مجموعة من المفاهيم والأفكار المغلوطة، أو المبالغ فيها عن الحياة، وربطها بالمشاكل والخلافات، مع تبني وترويج أساليب غريبة عن مجتمعاتنا.
- المناهج التعليمية وقصورها الواضح في نشر الوعي والثقافة

العائلية لدى الناشئة والتلاميذ، وكذلك طوال فترة الدراسة، وإغلاق الفرصة بوجه الأذكياء والمتفوقين لاختصار زمن الجلوس على مقاعد الدراسة.

- المشكلة السكانية، والتي تتطلب من المقبل على الزواج الانتظار لفترات طويلة جدًّا للحصول على بيت من الحكومة.
- التشدد في التقاليد الاجتماعية، بتكريس الفوارق الطبقية وتشجيع العصبية القبلية وحصر الزواج في دوائر ضيقة مع الأقارب والأهل.
- التأثير في معايير الاختيار لدى الشاب والفتاة من خلال دفعهم للمبالغة في مواصفات وشروط شريك حياتهم؛ اعتقادًا منهم بأن هذا هو الصواب والأدعى إلى حياة زوجية سعيدة.
- نظرة المجتمع للتعدد، والتي تدفع بالفتاة وأهلها إلى تفضيل عنوسة ابنتهم على أن تكون زوجة ثانية.
- رفض رجال الجنسيات الأخرى، حيث يرفض المجتمع فكرة تزويجهم من بنات البلد، ويمارس ضغطًا نفسيًّا وقانونيًّا على هذا النوع من الزواج.
- اختلاف المذاهب، وفيه يتم رفض المتقدم للزواج لاعتبارات

دينية وطائفية.

- **تقاليد الغرب التي تسعى لذم المؤسسة الزوجية**، وتقليد البعض للمنهج الغربي في الحياة الاجتماعية من تفضيل عدم الزواج؛ لأنه أقل مسئولية ومتاعب؛ وأكثر انطلاقًا وحرية، وذم الزواج المبكر، والدعوة لتأخير سن الزواج لدى الشاب والفتاة، بحجة استكمال النضج والحرية، والتعارف والصداقة أولًا، ثم يأتي الزواج بعد التفكير والاقتناع.

ثالثا: أسباب أخرى:

- **الزواج من الأجنبيات** الذي استفحل في السنوات الأخيرة في العديد من الدول خلقت طابورًا جديدًا من العوانس من فتيات هذه الدول.
- **التجنيد الإلزامي لفترات طويلة دون داع**؛ لأنها تأخذ من عمر الشاب، وتؤخر عمله وزواجه.
- **السحر الذي يلجأ إليه بعض ضعاف النفوس والإيمان** والربط لشاب، أو لفتاة معينة ووقف حالها وزواجها.
- **الخوف من الحياة الأسرية والهروب من المسئولية**، كثير من الشباب والشابات يخاف من اقتحام الحياة الأسرية، ربما لأنه

رأى الفشل العلاقة بين أبيه وأمه، والخوف الشديد من تحمل المسئولية خوفًا من الرزق أو عدم جودة التربية.

المبحث الثاني: دور الأسرة في العنوسة

تلعب الأسرة دورًا مهمًّا في حياة الأبناء سواء بالسلب، أو الإيجاب، حيث إن حياة الإنسان على الأرض تمثل وحدة متكاملة تبدأ من الطفولة وتنتهي بانتهاء النفس الأخير، وانتقال الروح إلى بارئها.

ولذلك فإن سلوك الإنسان في أية فترة من فترات العمر سواء كان طفلًا، أو مراهقًا، أو شابًا، أو رجلًا، أو كهلًا يرجع إلى عهد الطفولة.

- فتربية الطفل الأولى هي التي تلعب دورًا رئيسًا في تشكيل سلوكياته فيما بعد، إلا في حالة نادرة الحدوث، وهي أن ينتبه الفرد إلى نواحي النقص في نفسه، فيحاول تقويمها ما استطاع إلى ذلك سبيلًا.

- فالانطباعات التي يتلقاها الطفل في صغره من المحيطين به هي من أقوى العوامل في تكوين شخصيته ونفسيته عندما يكبر، فالابن الذي تتفتح عيناه على أب شرير يعامل زوجته معاملة قاسية كلها جفاء، وليس فيها أي مظهر من مظاهر الحب، هذا الابن عندما يكبر سيكون نسخة سيئة من والده، فإما أن يكره الحياة الزوجية، وإما أن يضرب ويعزف نهائيًّا عن الزواج، وكذلك الحال بالنسبة للفتاة، فللوالدين دور أساسي مضطرد في شقاء الأبناء،

أو سعادتهم.

- ودور الآباء واضح في خلق الطوق الحديدي الذي يكبل العديد من الفتيات، ويجعلهن أسيرات للقلق والكآبة، مع حرمانهن من التمتع بحقهن الشرعي في الزواج والأمومة، وتكوين أسر صغيرة، وذلك بالتفنن في خلق العراقيل من المتطلبات الخيالية والباهظة، والتي لا يستطيع تنفيذها الشاب المقبل على الزواج، وتتمثل في:

١- الكبيرة أولًا: حيث يصر الأب على عدم تزويج الفتاة الصغرى ممن تقدم لها حتى ولو كان مناسبًا لها ويريدها هي بالذات، والحجة في ذلك أن الكبيرة يجب أن تتزوج أولًا، وتتضح هذه الظاهرة بوضوح في الأسر التي فيها عدد من الفتيات، إذ يحكم عليهن بالانتظار بسبب أختهن الكبرى والتي قد لا تتزوج أبدًا، وبذلك يحكم على بناته كلهن بالتعنيس.

٢- المغالاة في المهور: وذلك بسبب طمع أولياء الأمور وعدم إدراكهم لقيمة الزواج وأهدافه الأساسية، بالإضافة إلى ما سيتحملونه من كثرة المصروف، والالتزامات التي يرون أنها ضرورية.

- كما أن تغير النظرة إلى الزواج الكفء، واختلاف الناس في فهم ذلك،

بحيث أصبحت عملية الزواج عملية بيع وشراء، ولا يهم النتائج والآثار.

- التقليد الذي استولى على مشاعر الناس وسلبهم تفكيرهم.

- رغبة الزوج في الظهور بمظهر الفتى القادر، وحرصه على إقناع أولياء الزوجة، ويترتب على ذلك انتشار ظاهرة العنوسة للشباب والفتيات وظهور المشكلات الاجتماعية والأخلاقية والنفسية المريرة، ويجعل المرأة وكأنها سلعة تباع وتشترى، مما يخل بالمروءة، وينافي الشيم ومكارم الأخلاق.

وهذا كله ليس من الدين وسماحته في شيء، حيث إن الأصل في المهور اليسر، وصدق المصطفى ﷺ: **«أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً»**[1].

والمغالاة في المهر مكروهة، ذكر العلامة ابن القيم: **«فَإِنَّ الشَّرِيعَةَ مَبْنَاهَا وَأَسَاسُهَا عَلَى الْحِكَمِ وَمَصَالِحِ الْعِبَادِ فِي الْـمَعَاشِ وَالْـمَعَادِ، وَهِيَ عَدْلٌ كُلُّهَا، وَرَحْمَةٌ كُلُّهَا، وَمَصَالِحُ كُلُّهَا، وَحِكْمَةٌ كُلُّهَا؛ فَكُلُّ مَسْأَلَةٍ خَرَجَتْ عَنِ الْعَدْلِ إِلَى الْجَوْرِ، وَعَنِ الرَّحْمَةِ إِلَى ضِدِّهَا، وَعَنِ الْـمَصْلَحَةِ إِلَى الْـمَفْسَدَةِ، وَعَنِ الْحِكْمَةِ إِلَى الْبَعْثِ؛ فَلَيْسَتْ مِنَ الشَّرِيعَةِ وَإِنْ أُدْخِلَتْ فِيهَا بِالتَّأْوِيلِ؛ فَالشَّرِيعَةُ عَدْلُ اللهِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَرَحْمَتُهُ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَظِلُّهُ فِي أَرْضِهِ، وَحِكْمَتُهُ الدَّالَّةُ عَلَيْهِ وَعَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ أَتَمَّ دَلَالَةً وَأَصْدَقَهَا، وَهِيَ نُورُهُ الَّذِي بِهِ أَبْصَرَ الْـمُبْصِرُونَ، وَهُدَاهُ الَّذِي بِهِ اهْتَدَى الْـمُهْتَدُونَ، وَشِفَاؤُهُ التَّامُّ الَّذِي بِهِ دَوَاءُ كُلِّ عَلِيلٍ، وَطَرِيقُهُ**

(١) رواه أحمد في مسنده: (٢٤٥٩٥).

الْـمُسْتَقِيمُ الَّذِي مَنِ اسْتَقَامَ عَلَيْهِ فَقَدِ اسْتَقَامَ عَلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، فَهِيَ قُرَّةُ الْعُيُونِ، وَحَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَلَذَّةُ الْأَرْوَاحِ؛ فَهِيَ بِهَا الْـحَيَاةُ وَالْغِذَاءُ وَالدَّوَاءُ وَالنُّورُ وَالشِّفَاءُ وَالْعِصْمَةُ، وَكُلُّ خَيْرٍ فِي الْوُجُودِ فَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَفَادٌ مِنْهَا، وَحَاصِلٌ بِهَا، وَكُلُّ نَقْصٍ فِي الْوُجُودِ فَسَبَبُهُ مِنْ إِضَاعَتِهَا»[1].

والمغالاة في المهور تسبب الكثير من المفاسد، فكم من حرة مصونة عضلها أولياؤها وظلموها فتركوها بدون زوج، ولا ذرية، وكم من امرأة ألجأها ذلك إلى الاستجابة لداعي الهوى والشيطان فجرت العار والخزي على نفسها وأهلها، وكم من شاب أعيته الأسباب فلم يقدر على هذه التكاليف التي ما أنزل الله بها من سلطان فابتدرته الشياطين وجلساء السوء، حتى أضلوه وأوردوه موارد العطب والخسران فخسر أهله، وفسد اتجاهه، بل وخسرته أمته ووطنه، وخسر دنياه وآخرته، لذلك كانت الشريعة حكيمة فكرهت المغالاة في المهور، لأن بها أبصر المبصرون حقيقة، قال ﷺ: «خَيْرُ النِّكَاحِ أَيْسَرُهُ»[2]، وروي عنه ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرُهُ»[3].

وصدق قول الحق: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ .... [الفرقان: ٦٧].

---

(١) انظر أعلام الموقعين: (٣/ ١١).

(٢) رواه أبو داود: ح(٢١١٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح(٣٣٠٠).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى : (٧/ ٣٧٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع: ح(٣٢٧٩).

٣- **المبالغة في تكاليف الزواج**: وهي تعد مهر آخر يقدم للزوجة، ونفقات ثقيلة يعجز عن تحملها الخاطب في كثير من الأحيان، وهي من الأعراف الاجتماعية المستحكمة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن هذه التكاليف هدايا الخطبة، وهدايا المواسم والمناسبات، وهدايا صبيحة العرس، ونفقات حفلات العقد، ونفقات حفلات الزفاف، ونفقات المهنئين، بالإضافة إلى إقامة الولائم وذبح الذبائح، إلى غير ذلك من النفقات التي يحسب لها الخاطب ألف حساب.

فالشاب ذو الدخل المحدود أين له بهذه التكاليف الباهظة، فيفضل أن يعيش في تقلبات العزوبة الأليمة منطويًا على نفسه بعيدًا عن مجتمعه لكونه لم يجد من الذين يتقدم للزواج منهم عطفًا، ولا رحمة.

ومن أين أتى الناس بهذه العادات المرهقة؟! إنها وليدة التقليد الأعمى الذي طغى على المنطق والعقل والحق، إنها لا تمت إلى الأخلاق بصلة، ولا تلتقي مع التسامح الاجتماعي بنسب.

والإسلام لم يشرع في نفقات العقد والزفاف سوى المهر اليسير للمرأة، والوليمة لحفلة العرس قدر المستطاع بدون إرهاق، وإكرام الضيف بما يناسب الحال، أما ما عداها من هدايا ونفقات وتكاليف فليست من شرط العقد والنكاح في شيء، وإنما تعود إلى حرية الخاطب ويسره المالي وحالته المادية.

فلنرجع جميعًا إلى الدين الحق والفعل الرشيد والسنة المحمدية في نبذ هذه الأعراف التي ما أنزل الله بها من سلطان.

٤- **الثراء الشديد، أو الفقر المدقع:** الغنى والثراء الفاحش لبعض العائلات يكون أحيانًا نقمة على الفتيات فيها. إذ يحجم السواد الأعظم من الشباب عن طرق أبواب القصور والدور الفخمة طلبًا للزواج؛ باعتبار أن الجواب معروف مسبقًا، ولا داعي لإحراج أنفسهم، وكذلك هناك أسر لها أصل طيب، وذات خلق ومستوى تعليمي محترم، ولكن عدم قدرتها على المساهمة في تكاليف الزواج، وضيق ذات اليد يحول دون الاقتراب منهم.

٥- **التشدد في الشروط:** بالإضافة إلى المهر الغالي والأصل، يشترط فريق من الآباء بعض الأمور في الشاب المتقدم، ويتشددون فيها، مثل «الجاه، والغنى، والعائلة المعروفة، ومستوى تعليمي ووظيفي متقدم، ومركز اجتماعي مرموق» وتبرز هذه الظاهرة لدى التجار وأصحاب الأملاك، والعائلات الكبيرة والمشهورة في المجتمع.

٦- **البنت لابن عمها:** تحرص بعض العائلات للمحافظة على اسم العائلة وثروتها في زعمهم إلى حصر الزواج ضمن دائرة الأقارب فقط، وغالبًا ما تحجز البنت لابن عمها، وفي بعض الأحيان لابن

خالها، أو خالتها، ويتم ذلك في سن مبكرة، ودون الرجوع إلى من يعنيهم الأمر، أو مشاورتهم، وخاصة الشاب الذي يعثر على شريكة حياته في محيط الدراسة، أو العمل، ويتزوجها فعلًا، فتسقط ابنة عمه في دوامة العنوسة.

٧- **التدقيق في صول المتقدم وأجداده:** رغم التمدن والتقدم والثقافة التي شملت جميع أفراد المجتمع، فإن عادة التدقيق في أصول المتقدم وأجداده لا تزال تمارس على نطاق واسع، حيث يهمل ولي الأمر جميع الصفات الحسنة الممتازة في الشاب المتقدم لا لشيء سوى لأنه غير أصيل كما يظن أو يعتقد.

٨- **أسباب أخرى:** مثل إجبار الوالد ابنته على الزواج ممن تكره، أو دون أخذ رأيها، أو تزويجها لتحقيق مصلحة شخصية له، عندها ترفض الفتاة الزواج نهائيًا لكي تغلق على أبيها هذا الباب.

وأحيانًا يتعمد الأب إبقاء ابنته عانسًا أما لشدة حبه لها، أو لوفاة زوجته وحاجته إلى من يخدمه بعد تقدمه في السن، وأحيانًا تفعل زوجة الأب الشيء نفسه لتسخير الفتاة خادمة لها ومربية لأطفالها.

٩- **ترك اليد المطلقة للنساء في التصرف في الخطبة:** لعل من أكثر العقبات التي تقف في طريق الزواج وتساعد على اتساع رقعة العزوبة

والعنوسة ترك المجال للنساء في أن يتصرفن بأمور الخطبة كيف أردن، وأن يتدخلن في شئون الزواج حيث شئن، ولا شك أن المرأة بما جبلت عليه من انفعال وعاطفة، وبما يستهويها من مظاهر العصر، وبريق المادة وحب الجمال، فهذه الملكات تحول في كثير من الأحيان من إتمام الخطبة والزواج إلا إذا كانت رشيدة عاقلة مؤمنة تزن الأمور بميزان الشرع.

ولو انتبه أولوا الأمر لهذه المشكلة ما تفشت العنوسة، ولا سمعنا عن نساء بقين سنوات يقمن بمهمة الخطبة لأولادهن وأخيرًا استحوذ عليهن اليأس والقنوط بحجة أنهن ما وجدن المخطوبة التي اتصفت بمواصفات الجمال والحسب والنسب، وكأن الدميات ومتوسطات الجمال والبسطاء خلقن لأجل أن يظللن في المجتمع كاسدات عازبات، وكم سمعنا عن زواج كاد يتم، وعن عقد نكاح كاد ينتهي، وإذا بسوء تصرف بعض النساء، وطيش تدخلهن ينقطع الحبل، وتنفصم الرابطة، وربما تنشأ العداوة بين الأسرتين.

وهذا لا يعني أن يهمل رأي المرأة في أمور الخطبة وقضايا الزواج؛ لأن الإسلام احترم رأي المرأة، وأمر الأزواج بأن يستشيروا زوجاتهم في تزويج بناتهن، وصدق قول المصطفى ﷺ: «آمِرُوا النِّسَاءَ فِي

بَنَاتِهِنَّ»[1]. وعلى ولي الأمر تجاهل سوء تصرف النساء من تعقيدات أمور الخطبة والزواج، وأن يقف تجاه هذه التصرفات موقفًا حاسمًا؛ ليضع الأمور في نصابها دون ظلم، أو أهواء، أو عواطف جامحة، وصدق قول الحق: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ....[البقرة: ٢٦٩].

نعم: إن للوالد، أو ولي الأمر والأم دورًا خطيرًا ومؤثرًا بشكل فعال في قضية العنوسة وانتشارها.

فالتعسف والمبالغة في الشروط والطلبات والمواصفات الخيالية غير الواقعية التي لا تستند إلى تفكير عقلي وديني تقف حائلًا دون تزويج الفتيات فمنع الفتاة من التزويج بالكفء خلقًا ودينًا جناية في حق الجميع، ووضع الشروط التعجيزية من المهر والمتطلبات التي ينوء بحملها أي شاب في مقتبل العمر، أو الطمع في راتب الفتاة، واشتراط الآباء نسبًا معينًا من نفس العائلة، أو نفس البلد، أو القبيلة جميعها تصب في بوتقة العنوسة وانتشارها.

كما أن الأم لها دور عظيم، حيث تقع عليها مسئولية تربية بناتها وفق

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(٤٨٨٧)، وأبو داود: ح(٢٠٩٥)، وقال ابن حبان في المجروحين (٣/ ١١١) فيه يحيى بن أبي أنيسة كان ممن يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، وقال في عون المعبود: (٦/ ٨٤) «قال المنذري: فيه رجل مجهول» فالحديث ضعيف.

التعاليم الدينية السمحة، مستنيرة في ذلك بالأحاديث النبوية الشريفة، وعليها أن تغرس في نفوسهن الحب والدين، أما المال فليس شرطًا فهو يأتي ويذهب بالإضافة إلى التحلي بالصبر والآداب العامة، والاهتمام بالثقافة والعلم، والاعتماد على النفس في شئون المنزل والحياة العامة، ومواجهة المشاكل والعمل على حلها بالصبر والأناة، وعدم الاعتماد على الخدم كليًّا، وأن تقنع بالقليل، فالسعادة وراحة البال لا تتحققان بالمال والمظاهر الشكلية، ولكن بالخلق والدين والإيثار والقناعة والود والرحمة.

كما أن لها دورًا في العنوسة باختلاق العوائق والشروط التعجيزية أمام الفتاة، أو الشاب، فالاعتدال مطلوب في كل شيء من الناحية المادية والجمالية والمظاهر الشكلية بما في ذلك من مظاهر التفاخر والتباهي بأشياء لا تغني، ولا تسمن من جوع، فالعبرة بالدين والأخلاق والاستقامة فالتيسير المطلوب.

وعلى كلٍّ من الأب والأم أن يتقي الله في أولاده جميعًا، وأن يحافظ على الأمانة التي حملها من فوق سبع سماوات.

نعم، إن التدخل السافر للآباء والأمهات في حياة أبنائهم، والتحكم في مصائرهم، وفرض التفتيش الإجباري على البنات باختلاف صوره وأشكاله لهو ظلم عظيم يحول حياة الفتيات إلى سجن مليء بالكآبة

والحسرة والندم على ضياع سنوات العمر بدون فائدة، أو قيمة. إنه تخل عن المسئولية التي حملها الله سبحانه وتعالى للآباء والأمهات، كما قال المصطفى ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1].

(١) رواه البخاري: ح(٨٩٣)، ومسلم: ح(١٨٢٩).

المبحث الثالث: مساهمة الشباب في العنوسة

- أما بالنسبة للشباب وكيف يساهموا في ظاهرة العنوسة فتتمثل في الأسباب الآتية:

السبب الأول: ضعف الوازع الديني:

إن ضعف الوازع الديني في نفوس الشباب، وخمود جذوة الإيمان في قلوبهم، وتبلد الشعور بالمسئولية في ضمائرهم لمن أهم العوامل التي أدت إلى انتشار العنوسة، وما تبعها من تبعات خطيرة.

فكيف يفكر الشباب بالزواج وهو يجد ما يروي ظمأه ويشبع غريزته، وكيف يفكر بالزواج وقد تيسرت له سبل الفساد من أفلام ماجنة وعري وصور فاضحة فاحشة تروي نهمهم الغريزي بطريق محرم.

ولو كان عند هؤلاء الشباب من الوازع الديني ما يزجرهم عن الشر، ومن مراقبة الله سبحانه ما تحجبهم عن الفساد لما خاضوا في خضم الرذيلة، بل فكروا جديًّا بالزواج لإشباع نهمهم الجنسي بالحلال الذي شرعه الله تعالى.

ولو رأى الشباب أبواب الفاحشة موصدة أمامهم وغير ميسرة لعدلوا عن عزوبتهم.

وعلاج هذا المرض لا يكون إلا بالتربية السليمة على دين الحق منذ نعومة الأظفار بمراقبة الله عز وجل، والخشية منه والتحسس بأن الله سبحانه وتعالى يراقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه وما تخفي نفسه، وبهذا ينشأ إنسانًا سويًّا تقيًّا لا تستهويه المادة، ولا تملكه شهوة، ولا يتسلط عليه شيطان، ولا تعتلج في أعماقه وساوس النفس الأمارة بالسوء.

ولا شك أن المحافظة على مجالس الذكر والعلم والمداومة على صلاة الفرض والنفل، والمواظبة على تلاوة القرآن والتهجد وقيام الليل وصيام الفرض والتطوع والرفقة الصالحة تقوي الوازع الديني لدى الشباب.

السبب الثاني: الفساد والتحلل:

الناجم عن الممارسات الجنسية المحرمة، والتوسع في العلاقات مع الجنس الآخر من دون زواج، سواء داخل البلد، أو خلال السفر إلى الخارج، وهي علاقات ليس فيها أي تحمل مسئولية، أو التزام.

افتتان بعض الشباب بالواقع الغربي، وتبني منهجه في اتخاذ عشيقة يعاشرها معاشرة الأزواج في ظل غياب التربية والوازع الديني.

الشذوذ الجنسي وفيه ينصرف الشاب عن الزواج، مكتفيًا بارتباطاته المنحرفة من بني جنسه، بما يعرف بالعلاقات المثلية والعياذ بالله.

السبب الثالث: أسباب عاطفية:

فشل الخطوبة أكثر من مرة، أو المرور بتجربة خطوبة انتهت بالانفصال، وتحمل خسائر مالية واجتماعية.

والإحباط وخيبة الأمل جراء ارتباط فتاة أحبها بالزواج من شخص آخر بالرغم عنها، أو وفاتها، أو رحيلها بالرغم عنهما.

التأثر بوسائل الإعلام وما تنشره من قصص تجعل من الزواج مقبرة للحب بين الزوجين.

الزواج بأجنبيات مجاراة للفكرة السائدة بأن ابنة البلد مرهقة ومكلفة في مصاريف زواجها، على العكس من فتيات البلدان الأخرى، أو بسبب دراسة الشباب بالخارج، وإعجابه بفتاة ما، أو رغبة في إحصان نفسه من الوقوع في الحرام.

التأخر في الزواج نتيجة الغربة والإقامة بالخارج لدواعي العمل، أو لأسباب دراسية، أو علاجية، وكذلك التخلف الدراسي نتيجة الإهمال والتسكع بين المراحل الدراسية، وكذلك السعي الحثيث لجمع المال، خاصة إذا كان دخل الرجل بسيطًا قياسًا بتكاليف الزواج الباهظة.

السبب الرابع: أسباب نفسية:

منها العزوف عن الجنس الآخر، وكره الارتباط به وذلك بسبب نظرة الاحتقار له، أو سوء فهمه، وتكوين انطباع سلبي عنه نتيجة تجارب سابقة.

كراهية الجنس، إما بسبب التزمت الزائد، أو ربط العلاقة الجنسية بالرذيلة والانحلال.

الخوف من الزواج نتيجة التأثيرات السيئة الناجمة عن التفكك الأسري في العائلة، وكثرة الخلاف والشجار بين الوالدين والذي أدى إلى عدم الشعور بالأمن والاستقرار.

الخوف من تحمل المسئولية، وتجنب تحمل الأعباء الناتجة عن الزواج وتربية الأولاد وتعليمهم.

الشعور بالنقص والناتج عن وجود عيوب خلقية واضحة في شخصية الشباب، أو سيطرة فكرة الفشل في الحياة الزوجية على عقله وتفكيره نتيجة ضعف شخصيته، أو فشله الدراسي والوظيفي، أو في تجربة زوجية سابقة انتهت بالطلاق.

الانطواء والعزلة وأسبابها كثيرة ومتعددة.

السبب الخامس: التشدد في مواصفات الزوجة:

اشتراط الجمال الباهر، وتركيز الشباب بشكل مبالغ فيه على المواصفات الشكلية والجسمية للفتاة، مع إهمال صفات الأخلاق والأدب، والصفات الأخرى.

تفضيل الفتاة الصغيرة، وهو من العادات المتوارثة القائمة على فكرة سهولة التحكم بالفتاة الصغيرة والسيطرة عليها.

النظرة غير الواقعية لما يجب أن تكون عليه الزوجة من مثالية وشاعرية، وتفان في خدمة زوجها.

السبب السادس: أسباب أخرى:

تحمل إعالة الأسرة بسبب أنه الأخ الأكبر، أو المعيل الوحيد للأسرة، أو بعد وفاة الأب، أو عجزه عن العمل.

الفقر أو البطالة: حيث يعجز الشخص عن توفير احتياجات الزواج.

المشاكل الصحية مثل حالات العجز، أو الضعف الجنسي، أو المرض، أو التشوه المنفر.

الإدمان على المسكرات، أو المخدرات.

- وتساهم الفتاة في خلق وانتشار ظاهرة العنوسة بالأسباب الآتية:

السبب الأول: أسباب نفسية:

العزوف عن الجنس الآخر نتيجة الأفكار المشوهة والسلبية عنه نتيجة قراءات، أو مشاهدات سابقة ظهر فيها الرجل خائنًا، أو قاسيًا، أو أنانيًّا، أو ظالمًا، وغير ذلك من الصفات السيئة الأخرى.

كراهية الجنس نتيجة التزمت الزائد، وربط الجنس بسوء الخلق، أو

الرذيلة، أو نتيجة جهل وسوء فهم بالنواحي الجنسية، والخوف من تبعات الزواج من حمل وولادة وإرضاع.

الخوف من الزواج نتيجة تأثيرات ورواسب سابقة «للوالدين، الأم، الأخوات، قريبات، صديقات، جارات» كانت الزوجة فيها رمزًا للذل والعبودية والاضطهاد، وكان الزواج رمزًا للتعاسة والشقاء، مما ألقى بظلال قاتمة على الحياة الزوجية كلها.

الانطواء والانعزالية، ولها أسبابها المتنوعة.

السبب الثاني: التشدد في مواصفات الزوج:

المبالغة في الشروط والطلبات بالنسبة لمواصفات الشاب المتقدم للزواج «غني، ذو نسب، متعلم، وسيم، اجتماعي، رومانسي، متدين، وظيفة مرموقة»، فترفض الفتاة كل من يتقدم إليها، وكلما كثر الخطاب ازدادت دلالًا وتعززًا وتشددًا في شروطها المثالية، حتى تصحو، وقد تقدم بها العمر وعزف عنها الخطاب.

السبب الثالث: أسباب أخرى:

عدم حصول النصيب، حيث يتقدم للفتاة أشخاص غير مناسبين لها فترفضهم لأسباب وجيهة ومنطقية، ولا يتقدم غيرهم.

تحمل مسئولية الأهل، والوقوف إلى جانب الأسرة الكبيرة، والإنفاق

عليها اعترافا بفضل الوالدين وبرًّا بهما، أو نتيجة وفاة الأب، أو عجزه عن العمل، أو بسبب ارتفاع تكاليف المعيشة.

الانحراف والشذوذ الجنسي، مثل وجود علاقة مثلية، والتهرب من الزواج خشية افتضاح الأمر.

السبب الرابع: عيوب في مواصفات الفتاة:

تدني مستوى الجمال للتي يبحث عنها شباب هذا الجيل.

عيوب جسمية، كأن يكون بها تشوهات، أو إعاقة ناتجة عن مرض وراثي، أو حادث تعرضت له.

عيوب صحية، كأن تكون مصابة بمرض مزمن عضوي كالقلب والسكري، أو فقر الدم، أو خلل هرمونات، أو مرض نفسي، كانفصام الشخصية، أو الصرع.

سوء الخلق، مثل اشتهار الفتاة، أو أهلها بسوء التربية والخلق، والحدة في الطباع، مما يدفع كل من يسأل عنها، أو عنهم، إلى الابتعاد عن مصاهرتهم.

تفكك الأسرة واشتهارها بكثرة الخلافات والمشاكل.

تدني مستوى التعليم.

السبب الخامس: الخطأ في ترتيب الأولويات:

تؤجل الفتاة الزواج وترفض جميع المتقدمين لها معتقدة أن هناك أشياء أهم وأولى وأن الزواج ومسئولياته سيعوقها عن تحقيق طموحاتها، ويأتي في قمة هذه الاهتمامات:

التعليم: مواصلة التعليم بعد المراحل الإلزامية، والرغبة في تحصيل الشهادات العليا.

العمل: البحث عن المهنة المناسبة، والمركز الوظيفي اللائق والمرموق.

جمع الثروة: توفير المال لاستثماره في مشروع معين.

التعلق بوعد الزواج: سواء من قريب للأسرة، أو من أحدهم، ثم تفاجأ بزواجه من أخرى.

الخطوبة الطويلة: والتي يعقبها فسخ وانفصال.

الفشل في قصة حب: عاشت خلالها تجربة عاطفية حميمة، ثم حصل انفصال نتيجة حادث عارض، أو أسباب قاهرة أبقت الذكرى عالقة في القلوب.

الحب الشديد لأحد الأبوين، أو لكليهما، لدرجة الاعتقاد بأن مفارقتهما هي عقوق لهما، وهذا نوع من التعقيد النفسي، مما يبعث على الارتباط اللصيق بهما والتعلق بالعيش معهما، خصوصًا إذا كانت من أسرة عز وغنى.

ويرى د. محمد المهدي أن العوامل المؤدية إلى انتشار ظاهرة العنوسة

تتمثل في[1] :

١- **ضعف شبكة العلاقات الاجتماعية:** وهذا العامل يبدو فاعلًا في المدن الكبيرة؛ حيث تسود حالة من العزلة والانكماش، وتقل أو تضعف العلاقات الأسرية والاجتماعية، وهذا يجعل مسألة التعارف صعبة ويجعل أكثر من الفتيات يعشن في الظل، ويصبحن منسيات.

٢- **انعدام الثقة:** بمعنى أنه حين ابتعد الناس عن بعضهم، وازدادت غربتهم بالذات في المدن الكبيرة والمزدحمة، وشيوع العلاقات العاطفية والجنسية خارج الزواج أدى إلى انعدام الثقة لدى كثير من الشباب والفتيات في الحصول على شريك حياة مناسب، خاصة لدى هؤلاء الذين تورطوا في مثل تلك العلاقات، وأصبح لديهم قناعة بأنه لا توجد فتاة عفيفة، ولا يوجد فتى مستقيمًا.

٣- **البطالة لدى الشباب:** مما يضعف من صلاحية الكثيرين للزواج من الناحية المادية والنفسية والاجتماعية، فالبطالة تجعل القدرة المادية منعدمة، وتؤدي أيضًا إلى تدهور واضح

(١) استشاري الطب النفسي.

في التركيبة النفسية والكفاءة الاجتماعية.

٤- **الحالة الاقتصادية:** وما يعتريها من تدهور يؤدي إلى عزوف الكثيرين من الشباب عن الزواج خوفًا من المسئوليات والمتطلبات التي تعوق قدراتهم الواقعية. كما أن المغالاة في المهور وطقوس وترتيبات الزواج التي يتباهى ويتبارى الناس فيها بما يفوق وقدرة معظم الشباب.

٥- **إتاحة العلاقات العاطفية والجنسية خارج إطار الزواج:** وذلك مما يجعل نسبة غير قليلة من الشباب يستسهل الحصول على الإشباع العاطفي وربما الجنسي دون مسئوليات أو أعباء، وهذا هو العامل الأهم في المجتمعات الغربية، ولكنه بدأ يزحف على مجتمعاتنا.

٦- **اهتزاز صفات الرجولة والأنوثة:** فقد صفات الرجولة لدى الذكور مما جعل كثير من الفتيات ينظرن حولهن فلا يجدن رجلًا بمعنى الكلمة يوفر لهن الحب والرعاية والاحتواء، فيفضلن العيش وحدهن عن التورط مع زوج يعيش عالة عليها، أو يطمع في مالها، أو يقهرها، كما اكتسبت الكثير من الفتيات بعض صفات الخشونة والاسترجال، مما جعل

الشباب من الذكور ينظرن إليهن بتوجس وحذر، ويخشى أن تستقوي عليه، أو تنازعه القيادة في الحياة الأسرية، فلم تعد الأنوثة مرادفة للرقة والحنان في كل الفتيات، خاصة من تجاوزن سن الزواج.

٧- **عوامل شخصية:** فهناك بعض الشخصيات التي تفضل حياة العنوسة بوعي أو بغير وعي على الرغم مما تتمتع به من الجمال والجاذبية، وعلى الرغم من توافر فرص الزواج أكثر من مرة، فالفتاة في هذه الحالة ترفض لأسباب ظاهرية كل من يتقدمون لخطبتها، وتدعي بأنه لم يأت النصيب بعد، أو لم يأت العريس المناسب، وفي الحقيقة هي لديها أسبابها النفسية التي ربما تعلمها، أو لا تعلمها، وهذه الأسباب تكون هي الدافع لرفض الزواج، أو تأجيله، وهذه الشخصيات إذا تم زواجها بضغط من الأسرة، أو المجتمع فإنها سرعان ما تسعى إلى الانفصال والعودة لحياة الوحدة؛ متعللة بأي مشكلات ظاهرية.

المبحث الرابع: القابلية للعنوسة

وفيما يلي نستعرض بعض النماذج من هذه الشخصيات القابلة للعنوسة:

الشخصية الأولى الفتاة المسترجلة: وهي التي قد تأخذ المظهر الذكوري في بعض صفاتها، أو طريقة لبسها وتعاملها، ولكن في أحيان أخرى قد تكون صارخة الأنوثة من حيث الشكل والبنيان الجسدي، ولكنها في كل الحالات ترفض الدور الأنثوي وتكرهه، ودائمًا تتحدث بحسد وغيظ عن تفرقة المجتمع بين الرجل والمرأة، وتبذل جهدًا كبيرًا في الجدال والنقاش حول هذه الأمور، وربما تنضم إلى أحد الجمعيات النسائية، أو تصبح زعيمة لحركة نسائية كل هدفها الهجوم على الرجال، وعلى المجتمع الذي تعتبره ذكوريًا ،أو هو ذكوري بالفعل. وبناء على ذلك نجدها في صراع دائم مع أي رجل، وتبدأ ذلك الصراع مع إخوانها الذكور وأقاربها وزملائها في الدراسة، ثم العمل، وأي رجل تقابله في حياتها، وهي شديدة الحساسية لأي بادرة تفوق ذكوري، وشديدة الرفض لمظاهر الأنوثة في جسدها، أو في نفسها.

وإذا حدث وتزوجت فإنها ترفض وتكره دور الأمومة، وتعيش في صراع مرير مع زوجها حتى تصل للطلاق، أو إلى التحكم فيه لترضي ميولها الاسترجالية الكامنة، أو الظاهرة.

الشخصية الثانية الفتاة الهستيرية: وهي في الغالب فتاة جميلة وجذابة واستعراضية ومغوية، توقع في حبها الكثيرين، وتبدي في الظاهر مشاعر حارة، ولكنها لا تستطيع أن تحب أحدًا، بل هي دائمًا تحب حالة الحب ذاتها، وهي سريعة الملل؛ لذلك تنتقل من علاقة لأخرى بحثًا عن الإثارة والتجديد، وعلى الرغم من إغوائها الظاهر إلا أنها تعاني برودًا جنسيًا، كما يؤكد د. محمد المهدي؛

ولذلك لا ترغب في الزواج؛ لأنها تكره العلاقة الجنسية وتخشاها، وإذا حدث وتمت خطبتها فإنها تسارع إلى محاولة إفشال الخطبة، وتتعدد خطوباتها وانفصالاتها بلا سبب منطقي واضح.

باختصار شديد هي فتاة للعرض فقط؛ ولذلك يكثر وجودها في الأنشطة الاستعراضية.

الشخصية الثالثة الفتاة الوسواسية: وهي تميل إلى الإفراط في النظام والتدقيق في كل شيء، ومترددة في أخذ القرارات، ولا تحتمل أخطاء الطرف الآخر، وبخيلة في مشاعرها؛ لذلك يصعب عليها قبول أي شخص يتقدم لها؛ حيث ترى في كل إنسان عيوب لا تحتملها، وهي مفتقدة للمشاعر الطبيعية التي تدفع الناس للزواج غالبًا، إضافة إلى بعض الوسواسيات لديهن اشمئزاز من العلاقة الجنسية على اعتبار أنها تمثل لديهن شيئًا قذرًا ومدنسًا.

الشخصية الرابعة الفتاة النرجسية: وهي الفتاة المتمركزة حول ذاتها، والعاشقة لنفسها، والتي ترى أنها متفردة، وتتوقع من الآخرين عمل كل شيء في سبيلها، في حين لا تفعل هي أي شيء، وهي تستغل كل من حولها لصالحها دون أن تعطيهم شيئًا، إضافة إلى أنها غير قادرة على حب أحد، فهي لا تحب إلا نفسها.

الشخصية الخامسة الفتاة البارانوية: ويغلب عليها الشك في كل من

حولها، فهي لا تثق بأحد أبدًا، سواء رجل كان أو امرأة، وتميل للسيطرة والتحكم، وتخلو من رقة الأنوثة وعذوبتها حتى ولو كانت صارخة الجمال، وتسعى نحو الاستعلاء على من حولها؛ ولهذا يهرب منها الرجال، ولا تستطيع هي أن تثق فيهم، أو تحترمهم، فهي دائمة الانتقاص منهم والتشويه لصورتهم.

الشخصية السادسة الفتاة السيكوباتية: وهذه لا تتزوج نظرًا لسوء سمعتها وكثرة انحرافاتها الأخلاقية والاجتماعية، فهي لا تستطيع احترام قوانين المجتمع، أو عاداته وتقاليده، ولا تلتزم بالمبادئ الأخلاقية المتعارف عليها، وتعيش باحثة عن اللذة الشخصية دون اعتبار لأي شيء آخر، فتجدها متورطة في علاقات متعددة، وتعاطي المخدرات، وربما تتعرض لمشكلات قانونية بسبب جموحها وانفلاتها.

يتكون هذا الفصل من المباحث الآتية:

المبحث الأول: مخاطر العنوسة

المبحث الثاني: آثار العنوسة على الفتاة

المبحث الثالث: المخاطر السلبية على المجتمع

الفصل الثالث

مخاطر انتشار العنوسة وآثارها على المجتمع

المبحث الأول: مخاطر العنوسة

لا شك أن عزوف كثير من الفتيات والشباب عن الزواج، وانتشار شبح العنوسة، واستفحال شوكته له من العواقب الخطيرة والمخاطر الوخيمة والآثار على الأمة بأسرها والأفراد. سواء كانت هذه المخاطر نفسية أم اقتصادية أم اجتماعية أم أخلاقية وسلوكية، لاسيما في هذا العصر الذي كثرت فيه أسباب الفتن، وتوفرت فيه السبل المنحرفة لقضاء الشهوة، فلا عاصم من الانزلاق في مهاوي الرذيلة والردى، والفساد الأخلاقي إلا بالتحصن بالزواج الشرعي، فالقضية قضية أعراض، وقضية فضيلة ورذيلة.

أولًا: الآثار الدينية:

١ - **تعطيل مقصود الله في الخليقة:** وهو استخلاف الناس في الأرض، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ .... [البقرة: ٣٠]، وقال جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ .... [فاطر: ٣٩]، أي: يخلف بعضكم بعضًا، جيلًا من بعد جيل، وهذا الاستخلاف وتلك الوراثة لا تكون إلا بوجود النسل والذرية، والتي بابها الحلال هو الزواج، فتعطيل الزواج مخالفة لمقصود الله ومراده.

٢- **مخالفة أمر الشارع الحكيم:** الذي أمر بتزويج الأبكار، وحث الشباب على المسارعة في الاعتصام بهذا الأمر المحبب إلى الشارع، فالوصول بالمرأة والرجل إلى هذه الحال فيه مخالفة لصريح القرآن وصحيح سنة المصطفى العدنان ﷺ، حيث قال الله: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .... [الروم: ٢١].

ويقول الإمام أحمد: «لَيْسَتِ الْعُزُوبَةُ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، النَّبِيُّ ﷺ تَزَوَّجَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَمَاتَ عَنْ تِسْعٍ، لَوْ كَانَ بِشْرُ ابْنُ الْـحَارِثِ تَزَوَّجَ كَانَ قَدْ تَمَّ أَمْرُهُ كُلُّهُ، لَوْ تَرَكَ النَّاسُ النِّكَاحَ لَمْ يَغْزُوا وَلَمْ يَحُجُّوا وَلَمْ يَكُنْ كَذَا وَلَمْ يَكُنْ كَذَا، وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصْبِحُ وَمَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، وَكَانَ يَخْتَارُ النِّكَاحَ وَيَحُثُّ عَلَيْهِ، وَيَنْهَى عَنِ التَّبَتُّلِ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ عَلَى غَيْرِ الْـحَقِّ»(١).

٣- تقليل عدد المسلمين، ومخالفة أمر الرسول الأمين، وصدق قول المصطفى ﷺ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ

(١) انظر تلبيس إبليس لابن الجوزي: (٣٥٨).

الْأُمَمَ»[1].

٤- غلق أبواب الخير والأجر على العبد: أعني الرجل والمرأة التي لم تتزوج، فيحرمان أجر التربية الحسنة للأولاد، ويحرمان أجر حسن المعاشرة، وحسن التبعل من المرأة لزوجها، ويحرمان الولد الصالح الذي يبرهما في حياتهما، ويدعو لهما بعد موتهما، والمساهمة بإنتاج ولد صالح يعبد الله تعالى ويدعو له، وربما يموت شهيدًا فيشفع في أبويه يوم القيامة، وأيضًا إغلاق أبواب الرزق.

ثانيًا: الآثار الصحية للعنوسة:

حرم الإسلام الرهبانية، وذم العزوبة؛ لما لها من آثار سلبية خطيرة على الفرد والمجتمع، فمن المعلوم يقينًا أن العنوسة إذا انتشرت في أمة من الأمم فمعنى ذلك أن أكثر شبابها وشاباتها اتجهوا في حياتهم الاجتماعية إلى حياة الفساد والانحلال، إذا لم يكن لهم من تقوى الله رادع، ومن مراقبته سبحانه زاجر.

وإذا انتشرت الرذيلة والزنا في أمة أصيبت بالأمراض والأوجاع التي تنهك القوى وتفتك بالجسم التي تتمثل في:

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ح(١٢٢٠٢)، أبو داود: ح(٢٠٥٠).

١- **مرض السيلان:** وهو يسبب التهابًا حادًّا، أو مزمنًا في الرحم والخصيتين، قد يؤدي إلى العقم، وإلى التهابات في المفاصل، وقد يؤثر على المولود، فيحدث التهابات في عينيه تؤدي إلى العمى.

٢- **مرض الزهري:** وهو مرض يكثر بالزنا، ويسبب التهابات جلدية ومفصلية وعظمية وعضلية وقلبية، وبطنية وكبدية وتخريبات في الجلد والوجه والأظافر واللسان[1].

٣- **مرض التقرحات الجنسية:** يسبب التهابات في العقد البلغمية، قد تؤدي إلى خراجات قيحية مزمنة، والتهابات في المجاري البولية، وآلامًا مفصلية وتورمات في الأطراف.

٤- **مرض القرح اللين:** ينتقل عن طريق الزنا ويسبب تقرحًا مؤلمًا في الجهاز التناسلي، وقد ينتشر ليكتسح الجلد.

٥- **مرض النضج الجنسي المبكر:** يصاب به بعض الأولاد نتيجة لتهييج الشهوة قبل أوانها، واستثارة الغريزة قبل اكتمال غددها، ويسبب تشوهات بدنية، وأمراضًا عصبية ونفسية.

(١) انظر عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام أ- عبد الله ناصح علوان - دار السلام.

المبحث الثاني: آثار العنوسة على الفتاة

للعنوسة آثار خطيرة على الفتاة تجعلها تعيش بين خيارين أحلاهما مر: إما أن تعاني الوحدة والاكتئاب وتهاجمها الهواجس النفسية، أو تعاني من الحقد على الناس والمجتمع بأسره.

فالعانس إنسانة قلقة نفسيًّا وعاطفيًّا، خاصة إذا عوملت ممن حولها معاملة فيها نوع من الإحساس بالنقص، أو الشفقة، وأحست أن وضعها معيب في المجتمع.

وإذا لم تحسن الفتاة التعامل مع وضع العنوسة فإن الانتظار الطويل قد يعرض بعضهن إلى مجموعة من الآثار السلبية تختلف في حدتها من فتاة إلى أخرى، ومن هذه الآثار:

أولًا: آثار نفسية:

١- **الشعور بالإحباط والحرمان:** جعل الله تعالى فطرة المرأة تميل إلى الالتقاء والأنس بشريك حياتها، أسوة ببنات جنسها، وعدم ممارسة هذا الحق وحرمانها منه يؤدي إلى إصابتها بالإحباط وخيبة الأمل.

٢- **العدوانية:** تلقي العانس باللائمة على رجال المجتمع الذين أعرضوا عنها، وتشعر بالغيرة من بنات جنسها المتزوجات، ولهذا تنظر للمجتمع نظرة حسد وحقد وكراهية تعبر عنها في سلوك عصبي وعدواني تجاه الأفراد.

٣- **العزلة والانطوائية:** ملاحقة الأنظار للفتاة العانس، ومجاملتها بتمني زواجها وكثرة ترديد ذلك على مسامعها «دون أمل» تدفعها إلى الهرب من مواجهة الناس، وتفضيل العزلة، أو مصاحبة من هم في مثل وضعها على المشاركة العامة في المجتمع.

٤- **حرمان الإشباع الفطري:** أي العجز عن تلبية حاجات ونداء الفطرة، فمشاعر الأمومة والحب الزوجي والجنسي من صميم فطرة كل فتاة فيها الرحمة والسكن والمودة والمتعة والسعادة، وعدم الزواج يحرم العانس من جميع الآثار الصحية للحياة الجنسية الشرعية والمتعة المباحة.

٥- **فقدان التوازن النفسي:** حيث تصاب الفتاة بنوع من عدم التوازن في شخصيتها ويظهر ذلك في سلوكها المتناقض في تعاملها مع الآخرين، وحتى لو تزوجت في وقت متأخر فإنها تستمر في مشاعر الضيق والتبرم من المجتمع. بما في ذلك الزوج

الذي يجب - حسب اعتقادها - أن لا يشعر أو يشعرها أبدًا بالفضل والمنة عليها لأنه تزوجها.

ثانيًا: الآثار الاجتماعية:

التسرع في الزواج، وذلك للخلاص من شبح العنوسة بغض النظر عن التكافؤ، أو مناسبة الزوج، بل قد تقبل بعض العوانس بعرض الزواج العرفي، أو الزواج منقوص الحقوق مثل «زواج المسيار».

ثالثًا: الآثار الأخلاقية:

١- **الانحراف الأخلاقي:** قد تندفع العانس في حالة غياب الوازع الديني إلى تلبية حاجتها الغريزية وإشباع رغباتها الجنسية بإقامة علاقات منحرفة مع الرجال، دون تفريق بين عازب، أو متزوج.

٢- **التآمر والكيد:** مشاعر الحقد والحسد قد تدفع الفتاة العانس إلى تدبير المقالب والمؤامرات للتنكيد على من هم سعداء ومستقرون في حياتهم الزوجية.

٣- **السفور والتبرج:** وذلك في محاولة البعض منهن محاولة ساذجة لجذب أنظار الرجال إليها عسى أن يلمح أحدهم جمالها ومواقع الفتنة فيها فيقدم على الزواج منها.

٤- **اصطياد الشباب:** بشتى الوسائل الممكنة؛ وذلك بغرض

إيقاعهم في حبائل التعلق بالفتاة؛ باعتبار أن هذا السلوك قد يجلب زوجًا في نهاية المطاف.

٥- **السلوك الإجرامي:** وذلك بتقبل الصور المنحرفة والمشوهة للعلاقات الإنسانية للتعويض عن المفقود، ومنها اللجوء إلى الشذوذ وتناول المخدرات، وقد يقود إلى التفكير بالانتحار.

رابعًا: الآثار الصحية:

١- **التوتر العصبي الدائم:** وما يتولد عنه من أمراض ضغط الدم والقولون وقرحة وحموضة المعدة والمزاج العصبي الثائر.

٢- **الأمراض الجنسية:** والتي غالبًا ما تنتج عن الاكتئاب والممارسات والعادات الجنسية غير السليمة.

٣- **إخلال وظائف الغدد:** فالتوتر والاكتئاب الدائم يؤديان إلى إضعاف النشاط الحيوي والذهني للجسم، وبالتالي إضعاف المستوى الصحي بشكل عام.

٤- **أخرى:** ومنها إدمان المنبهات، أو المسكنات، أو الإصابة بمصاعب الزفاف، أو مشاكل المعاشرة بعد الزواج.

وعن المشاكل والتغيرات الناجمة عن تقدم العمر وتأخير سن الزواج توضح د. فتحية إبراهيم الجامع (أمراض نساء وتوليد) أن المرأة يحدث لها عدم التوازن إذا ما اقتربت من سن اليأس، فإذا لم يدركها الحظ بالزواج والإنجاب تبدأ الحالة النفسية عندها بالاضطراب، مما يترتب عليه إصابتها بالاكتئاب والقلق النفسي، كما أن نسبة الخصوبة عند المرأة تصل إلى القمة في سن الخامسة والعشرين، وبعد ذلك تقل تدريجيًّا حتى سن اليأس، ونتيجة للاضطرابات الهرمونية التي تحدث في سن الإنجاب المتأخر تصبح نسبة الحمل في تناقص مستمر، وبذلك تزيد نسبة العقم عند المرأة كلما اقتربت من سن الأربعين.

وتكثر الأورام الليفية في النساء ما بين عمر «٣٠-٤٥» سنة، فإذا وصلت المرأة إلى هذا العمر ولم تنجب فإن هناك علاقة بنسبة بسيطة بين هذا الورم وعملية الإنجاب تتراوح بين «٢: ١٠٪»، كما أن نسبة الإجهاض التلقائي والولادة المبكرة وتعسر الولادة مصاحبة لهذا الورم، فإذا ما استؤصل كان له تأثير سلبي في عملية الحمل والولادة.

كما أن المرأة تكبر في السن وتكبر معها البويضات، مما يؤدي إلى زيادة نسبة الأطفال المنغوليين، ولاسيما بعد الأربعين ففي سن العشرين طفل واحد بين كل «١٩٢٣» طفلًا، وفي سن الخامسة والعشرين طفل بين كل «٣٦٥»، وفي سن الأربعين طفل بين كل «١٠٩» طفل، وفي سن الخامسة والأربعين طفل بين

كل «٣٢» طفلًا، ويتزايد الإجهاض التلقائي مع زيادة عمر المرأة، إضافة لحدوث الحمل العنقودي، كما تزيد نسبة الولادة القيصرية بمعدل أربع مرات عند الأمهات المتقدمات في السن عن مثيلاتهن في سن الإنجاب المبكر.

المبحث الثالث: المخاطر السلبية على المجتمع

تتمثل مخاطر العنوسة السلبية على المجتمع في النواحي الثلاثة الآتية:

أولًا: الآثار الاجتماعية:

١- **قلة النسل:** الإنجاب مطلب شرعي، ومقصد أساس من مقاصد الزواج تنفي هذا المطلب من أساسه.

٢- **التفكك الأسري:** بسبب المشاكل الناتجة عن تحميل كل طرف مسئولية هذا الوضع، واتهام الفتاة والدها، أو أخواتها بالذنب، أو بسبب أنانية الأهل وتخليهم عن رعاية الفتاة العانس لانشغالْ كل فرد بمسئولياته وحياته الخاصة.

٣- **ضعف الروابط الاجتماعية:** عدم الزواج يحرم المجتمع من العديد من الروابط الاجتماعية التي تربط الناس برباط المصاهرة والنسب، ناهيك عن غضب بعض الأسر من أقاربهم نتيجة عزوف شبابهم عن الزواج من بناتهم.

٤- **انتشار الزواج العرفي:** بسبب فقدان الأمل بالزواج

الشرعي المعلن، حيث تنعكس ثمار هذا الزواج على المجتمع ككل في نزاعات بين أطرافه.

٥- **الطلاق:** اندفاع الفتاة العانس إلى الزواج غير المتكافئ للخلاص من واقعها، وقد يحدث ذلك من جنسيات وأديان أخرى، وغالبًا ما يؤدي ذلك إلى الطلاق.

ثانيًا: الآثار الأخلاقية:

١- **انتشار السفور:** حيث إن مجاهرة بعض العوانس بسفورهن وتبرجهن قد تدفع العديد من النساء، وخاصة الفتيات الصغيرات، إلى تقليدهن وإظهار مفاتنهن، وإن اختلفت الغايات، وهذا يقود إلى مجتمع متسيب في مظهره العام.

٢- **انتشار الفساد:** والظواهر الأخلاقية المنحرفة نتيجة سقوط بعض العانسات في دوامة الانحلال، ووجود فئة من الرجال تشجع هذا الانحلال.

ثالثًا: الآثار الاقتصادية:

١- **انخفاض الإنتاج:** بسبب عدم كفاءة العانس أحيانًا، أو بسبب المعاناة النفسية التي تحول بينها وبين الإنتاج والعمل

المتميز والسليم، ويسبب نقص اليد العاملة نتيجة قلة المواليد.

٢- **البطالة:** الفتاة العانس قد تضطر للعمل لتأمين مستقبلها، وغالبًا ما تستمر فيه لفترات طويلة جدًّا، وتقبل بأي عرض وظيفي يقدم لها، وهو ما يكون على حساب فرص الشباب في العمل.

٣- **زيادة التكاليف:** لمداومة الأمراض والانحرافات التي تصيب أفراد المجتمع، وتحمل مؤسسات الدولة مصاريف إضافية لدعم المؤسسات الصحية والإصلاحية والقضائية والعقابية، والتي تنشغل بإفرازات هذه الظاهرة الاجتماعية.

ولا شك أن للعنوسة نتائج مشتركة بين الشرق والغرب، وهو الشعور بالوحدة الذي يعيب العانس ذكرًا، أو أنثى، كما أن العانس تواجه بالانتقاد، أو تدفع لانتقاد ذاتها لكثرة التعليقات التي توجه لها بسبب كونها فشلت في الفوز بزوج.

ومن النتائج السلبية للعنوسة كبت مشاعر الأمومة عند الفتاة العانس.

والإنسان الذي يعيش فترة عزوبة ممكن أن يعيش فترة عزوف عن

الممارسات الجنسية، والكثير يظن أن هذا صواب؟ ويؤكد د. أحمد الإمام اختصاص علم النفس أن هذا يؤدي إلى ما يسمى بالاضطرابات النفسية العضوية، وهي أولى بدايات الاضطراب، والمقصود هنا الذين يميلون إلى العزوف عن الزواج -إن استطاعوا إلى ذلك سبيلًا- فهم يجاهدون أنفسهم أحيانًا فوق الطاقة، لكن حينما يكون الجهاد من «سن ١٦ إلى سن ٣٠ سنة» فنحن إذًا نتحدث عن إنسان أرسل إلى حرب عاريًا حافيًا وبدون سلاح.

والمقصود بالاضطرابات العضوية التجسيدية أنها تبقى في جسم الإنسان، وأسبابها تكون نفسية، وتتجلى في الرفض والخوف، ثم العزوف والتبرير بطريقة عقلية لموقفه، والعزوف كذلك قد يؤدي إلى اضطرابات رهابية، بمعنى يصبح هناك تخوف من الجنس الآخر، وعدم الأمان له، فأحيانًا يصل الأمر إلى القرف من الجنس الآخر، نظرا لابتعاد الكثير عن هذا الجانب فالإنسان لكي يقوي ابتعاده عن الممارسة الجنسية سيصور هذه العلاقة كشيء منحط تشمئز منه النفوس، ويلجأ لهذا كله لمساعدة نفسه عن الابتعاد بطريقة لا شعورية.

وفي هذه الحالة التي يصبح فيها مريضًا يقنع نفسه بأن أي ممارسة ما هي إلا حيوانية، وأنها لا تؤدي إلا إلى استهلاك الطاقة الروحية، وأنه أولى بالإنسان أن يتجرد ويرتفع ليحافظ على ذاته، وعلى كرامته، وعلى كيانه.

وهذا بطبيعة الحال خلل ومرض نفسي سيئ، كما أن الآخرين الذين يقدمون على الممارسة اللاشرعية يصابون بكثرة التشكك والاضطرابات التي هي من نوع هوسي، وأحيانًا يتعرضون لصدمات جنسية من خلال الممارسات؛ لأن بعض المومسات يتعمدن تحطيم نفسية الشاب، فيعيش مدة طويلة على الشعور بالنقص وبالعجز الجنسي، وبالعجز كذلك من الإقدام على علاقة مع أي امرأة، وبالتالي لا يفكر في الزواج، ولهذه الأعراض أثرها على باقي أفراد الأسر، حيث يحسون بالشفقة على ابنهم وأخيهم، والخوف من تكرار التجربة معهم سواء كانوا ذكورًا أم إناثًا.

إن أصعب ما تعانيه العانس هي الآثار النفسية التي تسيطر عليها، فقليلًا ما نجد عانسًا تتمتع بحياة طبيعية مقارنة بغيرها من المتزوجات، على الرغم من نجاح بعض العوانس في تعويض عنوستهن من خلال عمليات التسامي والإعلاء، وذلك بالنجاح في العمل، أو النجاح في القيام بأعمال ذات قيمة اجتماعية عالية، أو الإبداع الأدبي، أو الفني، أو اللجوء إلى الزهد والحياة الروحية، أو لجوء بعضهن إلى الاسترجال والاستعلاء، ربما عقابًا للرجال، وللمجتمع ككل على إهمالهن.

والعانس تعاني الوحدة رغم كثرة الناس حولها في بعض الأحيان، وتعاني الغربة، وتعاني الإحساس بالدونية، رغم محاولاتها إنكار ذلك، أو إخفائه، أو تكوين رد فعل عكسي له، وتعاني الفراغ النفسي، رغم الانشغال الخارجي في

بعض الأحيان، وتعاني الحرمان العاطفي، أو الجنسي، أو كليهما، وتعاني الحرمان من الدفء الأسري، وربما تستعيض عنه مؤقتًا بدفء الأسرة الكبيرة، ولكنه زائل، أو مهدد بالزوال لا محالة.

وإذا لم تجد العانس وسائل كافية للتعويض، وإذا لم تجد معنى لحياتها في أنشطة مفيدة ومشبعة فإنها ربما تكون عرضة للقلق، أو الاكتئاب، أو لهما معًا، أو تعاني من اضطرابات جسدية كثيرة سببها حالتها النفسية التي لا ترغب في التعبير عنها بشكل مباشر. فكأن جسمها يصرخ بالشكوى نيابة عنها، وفي هذه الحالة نجدها كثيرة التردد على الأطباء في كل التخصصات بلا جدوى، وإذا صرح لها أحد أن ما تعانيه من مشكلات جسدية سببه حالتها النفسية فإنها سرعان ما تنفي ذلك بشدة؛ لأنها تخشى أن تواجه نفسها بهذه الحقيقة؛ حيث تزيد من ألمها ومن إحساسها بالضعف والدونية.

والعانس تحمل في داخلها خوفا دفينا من المستقبل وإحساسا بعدم الأمان؛ حيث إن رصيدها الإنساني والعلاقاتي لا يطمئنها على نفسها، خاصة حين تكبر في السن وتجد نفسها تعيش وحدها بعد وفاة الوالدين؛ وانصراف الإخوة والأخوات إلى حياتهم وانشغالاتهم.

وبعض العوانس قد يخرجن من هذه الأزمة بطرق إيجابية.

وبعضهن قد يخرجن منها بطرق سلبية، كأن تميل للعنف، وربما تتورط في

بعض الجرائم نظرًا لتراكم الغضب بداخلها من نظرة المجتمع وظلمه لها، وبعضهن ربما يلجأن للغواية العاطفية، أو الجنسية كنوع من رد الاعتبار، أو إثبات الذات، أو الانتقام من الرجال، وقد تنزلق بعضهن إلى احتراف البغاء في ظروف معينة، خاصة حين ييأسن من الزواج نهائيًّا، وبعضهن ربما يلجأن للسرقة المرضية كنوع من التعويض عن الحب المفقود.

والعانس قد تكون أكثر عرضة للغواية، وأكثر قبولًا للزواج العرفي، أو للعلاقات غير الشرعية، وهذا لا يعني أن كل عانس متهمة بالانحراف، أو معرضة له بالضرورة، ولكن الانحراف الخلقي، أو الاجتماعي هو أحد المخارج المحتملة لنسبة من العوانس بدوافع نفسية واجتماعية ضاغطة، ولا ينكر أحد نجاح كثير من العوانس في نشاطات علمية واجتماعية وخيرية وغيرها، ولا تقتصر مشكلات العانس على النواحي النفسية، بل قد يمتد ذلك إلى النواحي البيولوجية، فنجد تغيرًا واضحًا يظهر مع السنين في الشكل ونضارة الجلد وحيوية الجسد.

وتداعيات العنوسة لا تتوقف على الفتاة وحدها، وإنما تمتد لتشمل باقي أفراد الأسرة جميعًا. فالأب مثلًا قد ينساق وراء نصائح زوجته بالبحث عن عريس لابنته بين كل المحيطين به والمتعاملين معه، فيلجأ إلى عرض ابنته بطرق غير مباشرة على بعض زملائه، أو أبنائهم، وإذا فشل في ذلك فإنه يلجأ إلى أساليب لا شعورية تخفف عنه، كأنه يبلغ الآخرين مثلًا بأن ابنته قد تقدم لها

الكثيرون، ولكنه رفض، أو رفضت هي – لأسباب متعددة. وربما تعلم مع هذا الكذب حتى يعتقد بأن ما يرويه من أكاذيب هو الحقيقة بالفعل. وهو ما يقوده في نهاية المطاف إلى كثير من الاضطرابات النفسية والسلوكية.

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تمتد هذه التداعيات لتشمل علاقة الأب بابنته العانس، فمنهم في تعامله معها طريقة من بين ثلاث طرق فإما التغاضي عن هذه المشكلة، وترديد عبارات مثل «القسمة والنصيب، وتلك حكمة الله»، وإما التشدد والعنف في تعامله مع ابنته وتشديد الرقابة عليها، لأنه يظن – لا شعوريًّا – أن في ابنته شيئًا ما خطأ جعل الآخرين يعزفون عن التقدم إليها، وإما ترك الحبل لها على الغارب بدعوى أن كثرة خروج ابنته ورؤية الآخرين لها قد يدفع أحد الشباب إلى الاقتران بها.

وكذلك الأم تعيش هذه المشكلة بكامل طاقتها وعصبيتها وقلقها واكتئابها فهي كأم تشعر بعمق أحاسيس ابنتها، وتعيش على حلم أن ترى ابنتها في عش الزوجية وأن ترى أحفادها، ومن ثم فقد تنتابها حالات من الاكتئاب وقد تلجأ إلى السحرة والدجالين ظنًّا منها أن ابنتها قد سحرت، وهنا يعمل السحَّارون والدجالون سعارهم في النساء من استيلاء على أموالهن وذهابهن، وأحيانا استيلاء على عرضهن وشرفهن كاملًا أو غير كامل، والله نسأل العفو والعافية.

وقد تلجأ إلى الدلالات لتعرض عليهم مشكلة ابنتها، مع وعدهن بمكافأة سخية إذا أحضرن لابنتها عريس المستقبل. غير أن الأم في بعض الأحيان قد يكون إيمانها قويًّا فتقوم بالتخفيف عن ابنتها وحثها على الرضا بقضاء الله.

أما الأخت الصغرى فلا شك أن مشاعرها تكون مبهمة وغامضة، وقد تهيئ نفسها لأن تكون في الوضع ذاته وتعيش نفس المأساة، أي لا تتزوج مثل أختها، وقد تتفنن في ابتكار طرق مختلفة لجذب أنظار الشباب والدخول في علاقات آثمة مع بعضهم ظنًّا منها أنه إذا وقع المحظور فإن هذا يضمن لها الفوز بزوج المستقبل وألا تواجه نفس مصير شقيقتها.

بينما إذا كانت شقيقات الفتاة متزوجات فإنهن يشعرن بالأسى تجاه أختهن، وفي الوقت ذاته يشعرن أيضًا بالنقص أمام أزواجهن، خاصة إذا سألوا عن سر عدم زواج أختهن، أو حملت أسئلتهم تلميحات حول سلوك الفتاة وطباعها.

يتكون هذا الفصل من المباحث الآتية:

المبحث الأول: اعترافات دامية

المبحث الثاني: جميلات على عرش العنوسة

الفصل الرابع

أسرار في حياة العانسات

المبحث الأول: اعترافات دامية

كم هي الأنات والصرخات المدوية والقصص الدامية التي نسمعها هنا وهناك، وتكاد تقترب من كل بيت.

ولنقترب من هذه القصص التي يعتصرها الألم والحسرة لندرك خطر هذه الظاهرة، ولنتكاتف جميعًا، كل في موقعه: أفرادًا وجماعات ومؤسسات لعلاج هذا المرض اللعين الذي بدأ يستشري في كل المجتمعات بلا استثناء.

وسنعرض هذه الصرخات المدوية على لسان أصحابها:

الصرخة الأولى: اعطوني ولو نصف رجل:

كنت في الخامسة عشرة من عمري، وكان الخطاب يتقدمون إلي من كل حدب وصوب، وكنت أرفض بحجة أنني أريد أن أصبح طبيبة، ثم دخلت الجامعة، وكنت أرفض الزواج بحجة أنني أريد ارتداء معطف أبيض على جسمي، حتى وصلت إلى سن الثلاثين، وأصبح الذين يتقدمون إلي هم من فئة المتزوجين، وأنا أرفض، وأقول: بعد هذا التعب والسهر أتزوج إنسانًا متزوجًا كيف يكون ذلك؟ عندي المال والنسب والشهادة العليا، وأتزوج شخصًا متزوجًا.

ووصلت هذه المرأة بعدها إلى سن الخامسة والأربعين، وأصبحت تقول:

«أعطوني ولو نصف زوج».

الصرخة الثانية: خذوا شهادتي واعطوني زوجًا

يروي أحد المشائخ الفضلاء هذه القصة، ويقول: طبيبة تصرخ وتقول: «**خذوا شهادتي وأعطوني زوجًا**»، ففي السابعة من صباح كل يوم وقت يستفزني، يستمطر أدمعي، أركب متجهة لعيادتي، بل إلى مدفني، بل زنزانتي، أجد النساء بأطفالهن ينتظرنني وينظرن إلى معطفي وكأنه بردة حرير فارسية، وهو في نظري لباس حداد علي، أدخل عيادتي، أتقلد سماعتي وكأنها حبل مشنقة يلتف حول عنقي، العقد الثالث يستعد الآن لإكمال التفافه حول عنقي، والتشاؤم ينتابني على المستقبل، ثم تصرخ وتقول: خذوا شهاداتي ومعاطفي، وكل مراجعي وجالب السعادة الزائفة «المال» وأسمعوني كلمة ماما.

الصرخة الثالثة: امي هي التي تقود البيت

وهذه قصة فتاة من أسرة طيبة معروفة بأخلاقها وتقدم لخطبتها شاب مستقيم صالح، ولكن أمور هذه الأسرة ليست بيد الوالد، ولا بيد الفتاة، ولا بيد أحد من إخوتها، بل الأمور بيد الوالدة التي تمدنت وتحضرت وتأثرت بالقيم الغربية، وعقد النكاح، وبدأ تأثيث الشقة بتدخل الأم في كل صغيرة وكبيرة، وكان يصبر ويتغاضى كثيرًا من أجل هذه الفتاة، وتم تحديد موعد الزفاف، وحصل الخلاف على اختيار القصر الذي ستقام فيه الوليمة، وكذلك بطاقات الدعوة، والمغنية التي رفضها الزوج لعلمه بحرمتها، وكذلك إمكانياته

المحدودة، وأصرت الأم على قصر فخم، وضعف شخصية الأب أمام إصرار الأم، وذهلت الفتاة أمام هذه التصرفات، وحاول الزوج محاولات أخرى مع توسط أهل الخير، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل، وانفصل الموضوع، وتقدم الزوج لأسرة أخرى وتزوج ورزقه الله بالذرية، وبقيت الفتاة في بيت أبيها عانسًا وصل سنها إلى الرابعة والثلاثين لا يقربها الخطاب لكبر سنها أولًا، ثم لطلاقها ثانيًا.

الصرخة الرابعة: ابي على قيد الحياة وتزوجت بامر القاضي

وهذه قصة امرأة شابة طيبة من أب جاهل لا يخاف الله تعالى، تعلمت هذه الفتاة إلى المرحلة الابتدائية، ثم توقفت عن التعليم، تجاوز عمرها الخامسة والعشرين والخطاب ينهالون عليها من كل حدب وصوب، والأب يرفضهم كلهم بحجة أنه يريد شخصًا من بني جنسه وعشيرته، ووصلت إلى الثامنة والعشرين، وتقدم لها شاب معدم من بني جنسه، ولكن الأب رفض وتقدمت بشكوى إلى المحكمة الشرعية وحفظت إجابات الأب التافه التي تنم عن جهله وسوء خلقه، وحبسها القاضي في المحكمة فوافق الأب على زواجها رغمًا عن أنفه بأمر القاضي.

الصرخة الخامسة: ابي سبب زناي

وهذه فتاة شابة طيبة رفض والدها زواجها مع كثرة المتقدمين إليها من حضر وبدو؛ لأنه يريد إنسانًا بمواصفات خاصة، واضطرت الفتاة لمواجهة

والدها ودارت معارك كلامية شديدة بسبب ذلك، وصارحت والدتها مصارحة تامة، ولكن دون جدوى ووقعت في حب ابن الجيران، ولكن الوالد رفضه فأغواها الشيطان غواية ماكرة خبيثة أوقعها في المحظور فلم تسلم منه بعد نفاد صبرها، وعلم أبوها بالقضية بعد فترة وعلم الجيران وصارت الفضيحة تلازمه في كل مكان، فباع مسكنه وانتقل إلى مدينة أخرى بعيدة عن مدينته تمامًا وزوج ابنته التي كان يرفض زواجها.

الصرخة السادسة: ذبحني والدي بغير سكين

وتنهمر دموعها، وهي تعاني أشد المعاناة وتعيش أقسى أيام حياتها وتقول: «**ذبحني والدي بغير سكين، ذبحني يوم حرمني من الأمان والاستقرار والزواج والبيت الهادئ؛ بسبب دراهم يتقاضاها من مرتبي آخر الشهر يقتطعها من جهدي وتعبي وكدي**». ثم أخذ الشيطان بيدها إلى الرذيلة وساقها إلى الشر فأخذت تعاكس وتتكلم مع الرجال في الهواتف حتى أصبحت سمعتها في الحضيض بسبب رفض أبيها لزواجها.

الصرخة السابعة: حرمك الله الجنة كما حرمتني من الزواج

وهذه قصة ذكرها أحد المشايخ يقول: هناك امرأة وصل سنها إلى الأربعين ولم تتزوج بعد، وكلما أتاها الخطاب رفض والدها تزويجها، فأصابها بسبب ذلك الهم والغم والحزن، وأصبحت لا ترى إلا بوجه حزين وأصابها من جراء ذلك مرض نقلت على إثره إلى المستشفى، فأتاها والدها ليطمئن على

صحتها، فقالت له: «اقترب مني يا أبي»، فاقترب منها فقالت له: «قل: آمين» فقال: آمين، فقالت له: «قل آمين» فقال: آمين، ثم كررتها ثالثة، فقالت: **«حرمك الله الجنة كما حرمتني من الزواج»**، ثم توفيت بعد ذلك.

الصرخة الثامنة: نعم، نحن نشتم والدنا

وتذكر إحدى الأخوات أنها تعرف ثلاث فتيات كلما تقدم إلى أبيهن خاطب رده خوفًا على أمواله وممتلكاته، حتى دخلن في دائرة العنوسة فأخذن يكرهن والدهن كرهًا شديدًا، حتى إنه عندما توفي أخذن يشتمنه، ولا يذكرنه بخير.

الصرخة التاسعة: اذهب عني واللقاء يوم القيامة

وهذه قصة فتاة لم تحلل أباها وهو يحتضر، فهو يموت وهي لا ترضى أن تسامحه؛ لأنه منعها حقها الشرعي في الزواج والاستقرار والإنجاب وإحصان الفرج، بحجج واهية حتى كبرت البنت وتعداها الزواج، فلما حضرت أباها الوفاة طلب منها أن تحلله فقالت: **«لا أحلك لما سببته لي من حسرة وندامة، وحرمتني حقي في الحياة، ماذا أعمل بشهادات أعلقها على جدران منزل لا يجري بين جدرانه طفل؟ ماذا أفعل بشهادة ومنصب أنام معهما في السرير؟ لم أرضع طفلًا؟ لم أضمه إلى صدري، لم أشكو همي إلى رجل أحبه، وأوده، ويحبني، ويودني، فاذهب عني واللقاء يوم القيامة بين يدي عدل لا يظلم، حكم لا يهضم حق أحد، ولكن عليك غضبي، لن أترحم عليك، ولن أرضى عنك حتى موعد اللقاء بين يدي الحاكم العليم»**.

الصرخة العاشرة: أمي تعايرني

قصة أخرى فتاة الثمانية والعشرين ربيعًا، جامعية خلوقة محبوبة، وقد أجرت عملية استئصال كيس، والآن تتمتع بصحة جيدة، والفرص المعروضة عليها قليلة جدًّا، ولا يأتيها أحد إلا وفيه عيب، إما مطلق وله أولاد، ومع ذلك رضيت، وإذا أتى ليراها ينسحب وليس لها أية شرط وتزعزعت ثقتها في نفسها، وأصبحت سريعة البكاء، وتميل للوحدة وسرعة الانفعال، وأصبحت أمها تعايرها وتهاجمها.

الصرخة الحادية عشرة: تحولت من فتاة مرحة إلى تعيسة

ترى آنسة أرملة مات زوجها بعد عقد النكاح، أن موت زوجها حولها من فتاة خفيفة الظل إلى وجه نحس يخاف منها الكبار والصغار، ولم يتقدم أحد لخطبتها، وفقدت الأمل، وتيبس شعورها، وتحول عالمها إلى كآبة مستمرة، فعمرها واحد وأربعون عامًا فمن سيغامر ويتزوجها.

الصرخة الثانية عشرة: أمي الشريرة وراء عنوستي

وتحكي عانس قصتها قائلة: إن السبب وراء عنوستها أمها الشريرة فهي مرعبة في تعاملها مع الآخرين، فالجميع يتحاشون الاحتكاك بها، فمن سيتقدم للزواج منها؟

الصرخة الثالثة عشرة: لهو عائلتي وراء عنوستي

وتبوح عانس آخر بقصتها وتدينها وانشغالها بالدراسة وبكلام الله وأداء

مناسكه وفروضه منعزلة بذلك عن حياة اللهو التي تنغمس فيها أسرتها فلا تسافر، ولا تسمع الأغاني وتبلغ من العمر ثمان وثلاثين عامًا، وعندما يدخل الخطاب بيتها وبمجرد مصارحة والدها بطباعها يخرجون بلا عودة.

الصرخة الرابعة عشرة: العادات وراء عنوستي

وترى أخرى أن سبب عنوستها يرتبط بالعادات والتقاليد في المجتمع فكل من يتقدم لها يطالبها بترك العمل والعودة للمطبخ، وهي شاعرة وكاتبة، وما زالت تنتظر من يحترم عملها ويقدرها.

الصرخة الخامسة عشرة: اهتمامي الشديد بالشهادة وراء عنوستي

وتحكي عانس قصتها: أنها كانت ترفض الخطاب أيام الدراسة، إلا أنها بعد الدراسة انتظرت المناسب فلم تجده، حيث عزف الشباب عنها، وانشغلت ونسيت نفسها، حتى وصلت لسن اليأس، وفقدت إحساس الأمومة، وما زالت تعض أصابع الندم.

الصرخة السادسة عشرة: بخل والدي وراء عنوستي

وتعترف معلمة بالمرحلة الابتدائية أن بخل والدها وحرصه على راتبها وراء عنوستها وعدم زواجها، فرغم تقدم الكثيرين لها أثناء دراستها الجامعية فكان يرفضهم بحجة استكمال الدراسة، وبعد العمل رفض الكثيرين حرصًا على راتبها، وهي تقف الآن على أعتاب العنوسة.

الصرخة السابعة عشرة: إكمال دراستي سبب عنوستي

وتعترف عانس بأنها هي سبب عنوستها وكانت تتحجج بإكمال دراستها، ولكنها تضع صورة لعينة للزوج وأهمها إمكاناته المادية، وكانت تريد زوجًا جامعيًّا وسيما، وهي الآن تدفع ثمن غرورها وشروطها الصعبة.

الصرخة الثامنة عشرة: حبي والدي المفرط لي وراء عنوستي

وترى عانس أن حب والدها المفرط لها وراء عنوستها؛ لأنها ابنته الوحيدة؛ لأنه كان يرفض كل من يتقدم لها بحجة أنها مخطوبة لأحد أقاربها، وبعد وفاته ووحدتها مع والدتها المسنة أدركت حجم المأساة التي تعيشها بدون زواج وتبلغ من العمر خمسة وثلاثين عامًا.

الصرخة التاسعة عشرة: النسل والأصل وراء عنوستي

وتتحسر عانس في الخامسة والأربعين من عمرها على فقد الإحساس بالأمومة بسبب التقاليد البالية التي حولت حياتها إلى جحيم فوالدها يرفض الخطاب بحجة الحب والنسب والأصل. وما زالت تتجرع مرارة العنوسة.

الصرخة العشرون: التعنت في المواصفات وراء عنوستي

وهذه أنات عانس تصرخ وتقول: «**يا إلهي، ما هذا؟ لم أكن أتصور أنني سأكون في هذا الصف بعد أن كنت أشاهده من بعيد؟ ألم يكن في وسعي أن أوافق على ذلك الرجل الذي يكبرني بخمسة عشر عامًا؛ ليوفر لي متطلبات الحياة ورغد العيش؟ ألم يكن في وسعي أن أتزوج مثل ابنة خالتي خلال شهر**

واحد من رجل يعمل بالخليج ويبحث عن عروس؟ ألم يكن في وسعي أن أسمع كلام أمي وأتزوج من ذلك الرجل الآخر المؤدب رغم شعوري الطاغي بالنفور منه؟! ألم يكن في وسعي أن أتخلى عن بعض ما أؤمن به عن الزواج من أجل أن أحمل لافتة متزوجة؟ ألم يكن في وسعي أن أتصيد رجلًا بطريقة ما حتى يفيق على ورقة المأذون من بين يديه، ما الذي فعلته بنفسي».

نظرات متناثرة هنا وهناك تحمل أحيانًا الشفقة، وأحيانًا العتاب، أو الفضول والتلصص، أو تساؤلات لا تنتهي حتى بت أحمل على جبهتي لافتة «**عانس**».

المبحث الثاني: جميلات على عرش العنوسة

يزداد عدد الفتيات اللاتي يعانين من العنوسة يومًا بعد يوم، وتجاوزن سن الزواج اجتماعيًّا خمسًا وثلاثين سنة، وتتعدد وتتداخل أسباب العنوسة من الظروف الاقتصادية، أو البطالة، أو ارتفاع المهور، أو أسباب أخرى حسب ظروف كل بلد ومجتمع، ولكن هل يمكن أن يكون سبب العنوسة أن الفتاة جميلة، هي معلمة ناجحة من أسرة مرموقة، على خلق ودين، وفوق هذا جميلة جدًّا، ورغم هذا تعدت الخامسة والثلاثين دون زواج وقد أشيع أنها هي التي ترفض العرسان؛ لأنها، كما يقولون، «أنفها في السماء وتريد زيجة من مستوى معين».

وفي استطلاع لآراء الشباب عن الفتاة الجميلة وفرصتها في الزواج تباينت الآراء والأقوال.

يقول أحدهم: «إن العروس الجميلة هي حلم كل شاب، ولكني أفضل أن تكون متوسطة الجمال؛ لأن الجميلة جدًّا تكون في الغالب ذات دلال، وطلباتها كثيرة، وترى دائمًا أنها تستحق أن تدور الدنيا في فلكها، كما أنها تندب حظها وجمالها بعد الزواج، وترى أنها حصلت على أقل مما تستحق، وأن جمالها أهين في أعمال المنزل وخدمة الأبناء».

ويدافع آخر عن الجميلات بقوله: «ليست قاعدة أن الجميلة مغرورة وأنانية ومدللة، وإنما هناك جميلات على خلق ودين ويجتهدن أن يرضين أزواجهن، وأظن أن الإنسان ومن يتزوج من لها هذه المواصفات يكون قد فاز بكل المزايا».

وتعبر أم عن مأساة ابنتها الأجمل التي كانت تقول لها منذ صغرها: «إنها تستحق أن تتزوج رجلًا مميزًا»، وكانت تشعر بتميزها عن أخواتها وتعتز بجمالها، ولكنها تعدت الثلاثين ولم تتزوج وتزوجت أختها الأكبر والأصغر وما زالت ترفض العرسان؛ لأنها ترى أنها تستحق الأفضل.

وتعبر أخت عن غرور أختها وجمالها بأنه السبب في عدم زواجها حتى الآن، وتقدم لها أربع عرسان في نفس الأسبوع، وأخبرت أختها قبل أن ترى أي منهم أنهم مرفوضون كلهم مع اختلاف ظروفهم وتخصصاتهم؛ لأنها على ثقة أنها ستجيء لها فرص أخرى أفضل منهم.

وترفض إحدى العاقلات أي عريس يتقدم لها ويركز على جمالها؛ لأنها تعلم أن هذا الجمال زائل فربما تصاب بمرض، أو حين تتقدم في السن، وربما يجد من هي أكثر منها جمالًا، فماذا سيكون حالها وقتها، فهي تريد زوجًا يبحث عن الخلق والدين والتربية والأسرة في المقام الأول.

وتعرف إحدى الفتيات أن جمالها تحول إلى نقمة عليها؛ لأن العرسان يخشون من التقدم إليها؛ لأنها جميلة، وقد أخبرتها إحدى قريباتها أنها لا ترضى

أبدًا أن يتزوج ابنها من فتاة جميلة تتحكم فيه وتسيطر عليه، ويصبح تابعًا لها، وقد كتب عليها الوحدة والحرمان من الأطفال بلا عيب سوى جمالها.

ويذكر اختصاصي علم النفس «محمد اليامي» قول الرسول الكريم ﷺ: «**تُنْكَحُ الْـمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[1] فالأولوية للدين، والمرأة الجميلة قد تكون ذات دين أيضًا في هذه الحالة سترعى وتتقي الله فيه، ولن تثقل عليه بالمطالب، أما إذا كانت تنشئتها الاجتماعية مدللة وتشعر بسلاح جمالها، فهنا تكمن المشكلة؛ لأن هذه التنشئة قد ظلمتها وتظلم من سيرتبط بها في المستقبل.

ويرى الدكتور «أحمد عبد الرحمن» أستاذ الفلسفة الإسلامية أنه من السهل جدًّا أن نجد جميلة باهرة، ولكنها سيئة الخلق، ومع الوقت يذهب الجمال ويبقى سوء الخلق، وقد تكون دميمة وسيئة الخلق أيضًا، فليس للأمر مقياس محدد، فهناك الجميلة التي ما أن تنطق حتى تفقد نصف جمالها، فهي جميلة وجاهلة، فالجمال ليس جمال المظهر، أو الشكل الخارجي، ولكنه جمال الروح أيضا وجمال الخلق والعقل، ومتوسطة الجمال في أغلب الأحوال هي التي تفوز.

ويتوقف الأمر غالبًا على المتقدم، عم يبحث في المقام الأول، فجمال العقل هو الكاسب الأعظم.

---

(١) رواه البخاري: ح(٥٠٩٠)، ومسلم: ح(١٤٦٦).

يتكون هذا الفصل من المباحث الآتية:

المبحث الأول: العنوسة في المجتمعات الغربية

المبحث الثاني: الحل الغربي

الفصل الخامس

العنوسة من وجهة نظر غربية

المبحث الأول: العنوسة في المجتمعات الغربية

إن العنوسة ظاهرة اجتماعية عانت منها الدول الغربية منذ الحرب العالمية، وما زالت آثارها الوخيمة وانعكاساتها السلبية تهيمن على المجتمعات الغربية كظاهرة الأم العازبة، والزواج المثلي، وشيوع الفاحشة، والعنوسة كأي ظاهرة اجتماعية هي كالوباء قابلة للانتشار وبسرعة إذا لم تجفف المنابع التي تمدها بالقوة، وقد تتحول إلى كارثة تؤرق المجتمع، وتدفع به إلى الهاوية إذا لم تعالج في الوقت المناسب، وبالعلاج المناسب.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن العنوسة مسألة شخصية تتعلق بالفرد سواء كان ذكرًا أم أنثى، ولكن الواقع عكس ذلك؛ لأن الفرد ركيزة المجتمع.

وتنتشر العنوسة في المجتمعات الصناعية المتحررة التي أعطت الفرد حرية مطلقة، وأباحت العلاقات الجنسية غير الشرعية، وشرعت وضع الأطفال غير الشرعيين، فإذا كان الشاب، أو الفتاة يستطيعان إشباع رغباتهما دون قيود الزواج ومسئولية، فلماذا الأخذ به.

وإذا كان تكوين الأسرة هو أحد أهم أسباب الزواج، ففي الغرب انتشر التساكن وإنجاب الأطفال دون عقد زواج.

كذلك العزوف عن الزواج قد يكون نتيجة انحراف جنسي، ونحن نعلم أن في المجتمع الغربي ظاهرة خطيرة، وهي شرعية الزواج بين المثليين، وهذا يهدد وضع الأسرة، ويسبب انحسارًا ديموجرافيا سيكون له سلبياته على المجتمع الغربي كله.

ففي الغرب يهرب الرجل، وكذلك المرأة، من قيود الزواج التي تحد من حرية كل منهما، خصوصًا أن المرأة هناك مكتفية ماديًّا ومستقلة اقتصاديًّا، وتنظر إلى مؤسسة الزواج نظرة تختلف تمامًا عن نظرة المرأة العربية إليها.

في باكستان «كدولة غير عربية»:

تزداد نسبة العنوسة يوما بعد يوم بسبب التقاليد البالية التي تفرض على المرأة تجهيز بيت الزوجية، وهي عادة قديمة منذ أن كانت باكستان والهند وبنجلاديش بلدًا واحدًا، ورغم حصول الاستقلال لباكستان عام ١٩٤٧م إلا أن رواسب التقاليد الهندية مسيطرة على أغلب شعب باكستان المسلم، ولا يستطيع أحد الفكاك منها، فهي تقاليد اجتماعية موروثة، وبذلك تتحمل الفتاة كل شيء في تأثيث المنزل من الوسادة إلى السيارة، ودون أن يدفع العريس روبية واحدة، ونظرًا لصعوبة الحياة المختلفة، والازدياد المستمر في أثاث المنزل بحيث تحولت الكماليات في الماضي إلى شيء أساسي في الوقت الحاضر لا بد منه، زادت الضغوط والأعباء على كاهل الفتاة وأهلها من أجل توفير كل شيء حتى يتم الزواج، وهذا يجعل سن الزواج متأخرًا، بل إن هذه الظاهرة إلى حدوث العديد

من الحوادث والقصص المثيرة، كما ذكرت «جريدة المسلمون» في «٢٩ رمضان ١٤١٤هـ» نعرض منها:

- قتل زوج أخته بإيعاز من أمه بعد أشهر من الزواج بسبب عدم إيفائها بمتطلبات المنزل.
- رفض طبيب باكستاني إتمام الزفاف حتى توفر زوجته سيارة تليق بمقامه، وعندما عجزت الفتاة اضطر شقيقها لإعطاء العريس سيارته، ورفضت العروس وزوجها والدها رغمًا عنها وبعد أيام وقع الطلاق.

وقد أظهرت الإحصائيات التي قامت بها إحدى الصحف الباكستانية ارتفاع نسبة الانتحار بين النساء الباكستانيات، والسبب هو عدم قدرة المرأة على تجهيز منزل الزوجية، وإحساسها بالفشل في طريق الزواج، وشعورها بالإثقال على أهلها.

ويرى موظف باكستاني أن تجهيز المرأة لبيت الزوجية هو احترام للزوج، ودليل على أن الزوجة تقدم كل ما عندها إرضاء لزوجها.

وجهة نظر المرأة الباكستانية ترى أن هذه الظاهرة ضررها أكبر من نفعها، ومن أضرارها لجوء الأب، أو الأخ إلى طرق محرمة، أو شاقة لكسب المال، ولجوء المرأة للعمل ساعات طويلة يوميًا لعدة سنوات حتى توفر ثمن الجهاز،

وقد يفوتها قطار الزواج لهذا السبب ومن الأضرار أيضا سوء العلاقة بين الزوجة وأهلها بسبب إثقالها عليهم، وسوء العلاقة بين الزوجين لشعور الزوجة أنها صاحبة كل شيء في المنزل، وأنها تستطيع أن تجعل زوجها يعيش على الحصير فإما أن يرضى الزوج بنصيبه، وإما أن يقع أبغض الحلال.

فالأصل في الزواج هو السكن والطمأنينة، وأن شروط الاختيار هي الدين والجمال والمال والنسب، فلماذا تترك هذه الشروط ويكتفى بالمال والجهاز.

في هذا الصدد يرى د. محمد عبد التواب عميد كلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بـ«إسلام باد» أن الشرع لا يمنع أن تشارك الزوجة في تجهيز بيت الزوجية، ولكن أن يصل الأمر إلى حد النزاع والخلاف والقتل والطلاق فهذا أمر يرفضه الشرع، ولا بد من إيقاف هذه العادة، لأن ضررها كبير وبالغ، ويلزم التمسك بتعاليم ديننا السمحة.

في فرنسا:

أكد تقرير المعهد الفرنسي للإحصاء تراجع نسب الزواج بين الفرنسيين للعام الثاني على التوالي وكانت النسبة قد سجلت انخفاضًا عام «١٩٩٢م» حيث تدنت بمقدار «٣٪»، وارتفعت نسب رفض الزواج في الثلث الأول من عام «١٩٩٣م» حيث بلغ الانخفاض «٧٪» عن الفترة نفسها من عام

«١٩٩٢م»، كما أن نسبة «٥٠٪» من الزيجات التي تمت عام «١٩٩٣م» كانت غير فرنسية خالصة، وإنما زيجات مختلطة، أغلبها لرجال من شمال إفريقيا «تونس، المغرب، الجزائر» وسيدات فرنسيات.

ولم تمثل نسب زواج الفرنسيين من أوروبيين أكثر من «٢٥٪» من مجموع الزيجات، كما أن ثلث النساء اللائي بلغن الخامسة والعشرين عازبات، في مقابل امرأة واحدة من كل بلغن الخامسة والثلاثين لم تتزوج بعد.

وتبذل الحكومة الفرنسية جهودًا كبيرة لتشجيع الشبان والشابات على الزواج، حيث تخصص لهم إعانات للطفلين الأول والثاني بشكل تصاعدي، ولكن لم تفلح هذه المجهودات في إقناع الفرنسيين بالإقبال على الزواج.

المبحث الثاني: الحل الغربي

هاهم أهل الغرب ومن يجحدون بالإسلام وينكرون تعاليمه يقرون بحكمة هذه التعاليم، بل ويلجأ إليها لمواجهة مشاكلهم الاجتماعية وأهمها تعدد الزوجات[1].

الحل الفرنسي

وعلى الطريقة الفرنسية ابتكرت مجموعة من المتزوجين في العاصمة الفرنسية طريقة حديثة للقاء بين العانسين من الجنسين في «فرنسا»، وذلك عن طريق تنظيم احتفالات صامتة تكون مجالًا خصبًا للتعارف عن قرب.

وكان ذلك نتيجة جهود المتزوجين حديثًا، الذين بات هم العنوسة يشغل بالهم أكثر من أي شريحة أخرى في المجتمع الفرنسي، فقد آلمهم وجود عزاب وراءهم بعد أن تزوجوا هم.

وهذه الفكرة سهلة وبسيطة وبدأت في «باريس» بفرنسا وتعتمد على الصبر وقوة التحمل والصراحة في الحديث، ويتجسد بدء الفكرة في منع التكلم وإحداث أي ضجيج، حيث سيدخل المجتمعون في نقاشات طويلة وعميقة،

---

(١) جريدة الحياة – العدد «١٣٠٩٩»

لكن عبر الكتابة وجهًا لوجه، وفي هذه الحفلات يجد الجميع يحملون أقلامًا وكراسات صغيرة منخرطين في نقاشات طويلة «مسلحين بأقلامهم»، ويستمر النقاش بينهم على مدار ساعتين حتى وإن طلبوا شرب الماء فذلك يكون كتابيًا، وهم أثناء ذلك ينتقلون من طاولة إلى أخرى يتساءلون ويستفسرون دون أن يحدثوا أصواتًا، أو صخبًا.

تقول إحدى المشاركات في هذه الاحتفالات وعمرها بدأ يتجاوز الثماني والعشرين سنة: «إنه لأمر صعب أن تبقى في صمت، لاسيما إذا كان المرء يتمتع بطباع الثرثارين، لكن هذه الطريقة تمكننا في الوقت نفسه من معرفة ما إذا كان الرجل القابع أمامنا يستطيع كتابة جملتين دون أن يرتكب أخطاء إملائية».

وبعد مضي ساعتين من النقاش الهادئ والمقتصر على الكتابة حيث كل شيء بدون ويصبح مستندًا للطرفين تبدأ مراسم الحفل بتوزيع الهدايا وتطلق الحرية للكلام حيث يستطيع كل واحد أن يتحدث مع جليس والتعرف عليه شفهيًا.

الحل الأمريكي

وأشارت دراسة أمريكية طريفة إلى أن عشرين ألفًا من المليونيرات في أمريكا كن يكدحن خلف الدراهم حتى غرقن في مستنقع العنوسة.

وتشير تقديرات دراسة أمريكية إلى أن حوالي تسع وعشرين مليون

أمريكي بمعدل اثنين من كل خمسة عزاب، استخدموا خدمات المواعدة للزواج على الإنترنت، فيما تتوقع استمرار نحو هذا السوق خلال السنوات القادمة.

إن عدم توفر المصداقية والسلوك السيئ أحد أبرز المشكلات التي قد تضر بنشاط خدمات الزواج على الإنترنت الذي بلغ حجمه في العام الماضي حوالي «٣٩٨ مليون دولار» قابلة للارتفاع إلى «٦٤٢ مليون دولار» بحلول عام «٢٠٠٨م»، وهذا وفقًا لأبحاث مؤسسة جيوبتر:

إن ضعف الترابط الاجتماعي والأسري بين المسلمين في أمريكا اللاتينية من أكبر ما يهدد الجالية الإسلامية، ومن أبرز صور هذا الضعف زواج الكثير من المسلمين بغير المسلمات، والعكس زواج المسلمات بغير المسلمين مما ينتج عنه ضياع هوية الأبناء.

وهناك الكثير من المسلمين قد تنصر أولادهم بسبب أن الأب نصراني، أو الأم نصرانية، فلو كان المسلمون في أمريكا اللاتينية يهتمون بالروابط الإسلامية ويتزوجون بعضهم من بعض لما حصلت هذه المشكلة.

كذلك من المشاكل التي تواجه المسلمين في أمريكا اللاتينية العنوسة فكثير من النساء لم تتزوج بعد، وذلك إلى عدم اهتمام الجالية الإسلامية بعضها ببعض.

وفي آخر إحصاء في عدد من طرق المدن الأمريكية أن هناك امرأتين

تعيشان دون زواج، مقابل كل رجل أعزب، وهذا يعني أن جيلًا من النساء يتعرضن لخطر العنوسة.

وتذكر الإحصائيات أن المرأة التي يتراوح عمرها ما بين «٣٥-٣٩ عامًا» لا تتوفر لهم فرص الزواج إلا بنسبة «٣٨٪» فقط.

وفي «نيويورك» أصبح العجز في عدد الرجال الذين يمكن الزواج منهم حادا جدًّا إلى درجة أن آلاف النساء الجميلات والذكيات والناجحات أصبحن يائسات من نجاح محاولتهن الظفر بأزواج لهن. ولقد جعل هذا الوضع النساء الأخريات - والأقل جمالًا ونجاحًا - يقتنصن كل فرصة سانحة للقاء رجال، وإقامة علاقات معهم، حتى دون زواج، إلى حد قيام بعضهن بدفع ما يملكن لإعطائه لرجل كي تتم عملية الزواج، كما أن بعضهن يلجأن إلى الإعلان في الصحف والمجلات عن حاجتهن إلى رجال لهن، وهربًا من عواقب العنوسة وفشل الزواج.

القائمون على الدعوة، وهم المؤمل فيهم الإسهام في إصلاح هذه الأوضاع، أصناف شتى، إذ أن جميع التيارات والاتجاهات الحركية المذهبية التي تتحرك في العالم الإسلامي نجد لها أتباعًا بين المسلمين في الغرب، وهم أقرب إلى التقليد والأمية والتطفل على مجال الدعوة والاهتمام بشئون الإسلام والمسلمين.

ولعل من أهم التحديات التي تواجه المرأة المسلمة في المجتمعات الغربية؟

١- المجتمع الذي لا يستطيع أحد أن ينكره كمؤثر أول في تكوين الشخصية الإنسانية، فمجتمعاتنا المسلمة وإن كانت تخلت عن كثير من ملامحها الإسلامية والأخلاقية إلا أن هناك حدًّا أدنى من المظاهر الإسلامية التي تؤثر علينا إيجابًا.

٢- ومن التحديات الأخرى التكوين الثقافي الغربي المفروض على الفتاة المسلمة داخل مناهج التعليم، ومن خلال القنوات الإعلامية، ويجب أن تبذل جهود بخصوص إيجاد المجتمع المسلم داخل المجتمع الغربي عن طريق الارتباط بالمراكز الإسلامية، ومحاولة تفعيلها، والإكثار من أنشطتها، ومحاولة الارتباط بإعلام العالم الإسلامي عن طريق قنواته الفضائية المفيدة، والمواد المكتوبة من كتب ومجلات.

إن واقع المرأة الغربية الآن يتحدث عن نفسه، فالمرأة الغربية تفتقد دفء الأسرة، وبر الأبناء ورعاية وقوامة زوجها، وعلى المرأة العربية أن تتروى في ترديد مطالب ليست نابعة من واقعها، ولا تعبر عن هويتها، وعليها أن تحدد مطالبها في ظل منظومتها الأخلاقية والأسرية والدينية.

فما زالت الأمومة حلمًا يداعب خيال كل امرأة وفتاة، ولكن ظروف الحياة قد تحرم البعض من تحقيقه، الأمر الذي دفع المستغلين للعب جيدًا على هذا الوتر، مستغلين عاطفة المرأة للإنجاب فراحت فكرة تجميد البويضات لتضمن المرأة الإنجاب، وقتما وافقتها الظروف.

الحل البريطاني

فتجميد البويضات هو الحل السحري لتبعات العنوسة وتأخر سن الزواج، حسب وصف مجلة «الكوزموبوليتان» البريطانية لنظرة النساء إلى تقنية تجميد البويضات التي هي محل حديث الصحف والجرائد في بريطانيا في الوقت الحالي، فرغم أنها ليست حديثة العهد، لكن الإقبال الشديد عليها هو الذي جعلها تحت دائرة الضوء، حيث تشير التقارير إلى تهافت النساء من كافة الأعمار على تجميد بويضاتهن لأسباب ليست لها علاقة بالصحة، فالغالبية من هؤلاء يفعلن ذلك لأسباب بحتة، وهذا يتنافى تمامًا مع الغرض الأساسي لإقرار هذه التقنية كواحدة من أساليب علاج العقم.

وتتلخص التقنية في تخزين البويضات غير المخصبة في سائل النيتروجين عند ١٦٩ درجة مئوية تحت الصفر، والاحتفاظ بها إلى أن تقرر المرأة الإنجاب. ويرجع تاريخ أول حمل بهذه الطريقة إلى عام ١٩٨٦، وكان الغرض الأساسي من تطويرها فرصة الحمل للنساء المصابات بالسرطان والمعرضات إلى خطر فقدان الخصوبة بسبب العلاج الكيميائي والإشعاعي.

ولكن على ما يبدو، فقد حادت هذه التقنية عن الغرض المحدد لها، فوفقًا لنتائج أول دراسة تتعلق بأسباب تهافت النساء على خدمة تجميد البويضات تبين أن الغالبية العظمى منهن وجدن فيها حلًا سحريًا لمشكلة الخوف من العنوسة والتأخير في الزواج لعدم إيجاد الشريك المناسب، فقررن الاحتفاظ بفرصهن في الإنجاب خلال تجميد بويضاتهن لتكون جاهزة بانتظارهن إذا ما حالفهن الحظ بالزواج، وهناك من فعلن ذلك لأسباب وصفتها الصحف بالأنانية، فهؤلاء والغالبية منهن متزوجات قررن التأجيل لكي يتفرغن لبناء مستقبلهن المهني والاستمتاع بحياتهن دون التقيد بمسئولية الإنجاب وتربية الأبناء، وشجعهن على ذلك أنهن لم يعدن مهددات بضياع فرصتهن بالإنجاب مع تقدم ساعتهن البيولوجية، والفضل في ذلك يعود إلى تقنية تجميد البويضات.

اللافت للأمر ضمن الحالات التي أوردتها مجلة «الكوزموبوليتان» في تحقيق لها عن ظاهرة تجميد البويضات في بريطانيا، حالة سيدة على مشارف الأربعين جاءت إلى إحدى العيادات لتجري اختبارًا لخصوبتها، فهي تريد التأكد من أن لديها بويضات قابلة للتخزين، وعبرت عن أملها الكبير في أن يحالفها الحظ في ذلك.

فهذه السيدة ما زالت تعيش على أطلال قصة حب قديمة في حياتها، فحبيبها تركها عندما كانت في الثانية والعشرين من عمرها وسافر ليعمل في بلد

آخر، لكن المراسلات انقطعت بينهما بعد عام من رحيله، ولم يصلها خبر عن زواجه بأخرى، أو وفاته، لهذا فهي لا تزال تعيش على أمل عودته ليتزوجا وينجبا البنين والبنات، لذا تريد تخزين بويضاتها لتحافظ على فرصتها في الإنجاب، وتؤكد أنه إذا لم يحالفها الحظ ويعود إليها حبيبها ستتبرع بهذه البويضات لسيدة محرومة من نعمة الإنجاب.

وبالطبع يأتي الفشل في الزواج إلى واحدة من الأسباب التي تدفع النساء إلى تخزين بويضاتهن.

وهذا ما حدث مع «كارمن» التي انفصلت عن زوجها بعد عشر سنوات من الزواج، وأصبحت الآن في الثانية والثلاثين ولم يحالفها الحظ بالإنجاب من زوجها الأول.

تقول: **«لقد كان زوجي عقيمًا، وكنت راضية بالعيش معه، رغم أنني أتوق إلى الإنجاب والأمومة، ولكن عندما اكتشفت أنه يخونني مع واحدة أخرى قررت الانفصال لأبحث لنفسي عن زوج يمنحني فرصة الأمومة، ولكن ها قد مرت على طلاقي سنتان دون حدوث ذلك، ولا أعلم متى يمكن أن يحدث، وأحد أسباب تعجلي هو خوفي من عقارب ساعتي البيولوجية واضمحلال خصوبتي، وبالنسبة لي يعتبر خيار تخزين البويضات فرصة لا يمكنني إضاعتها».**

وتضيف: «**لقد فعلت ذلك بالفعل، ومن يومها لم أعد أخشى العمر، ولن أتزوج إلا برجل يليق بي ويصلح لأن أمضي معه ما تبقى من عمري، وأن يكون أبًا لابني، أو ابنتي**».

ووفقًا للصحف البريطانية يوجد في بريطانيا الآن أكثر من ثلاثين مركزًا صحيًّا لديها رخصة رسمية لمزاولة تقنية تخزين أو تجميد البويضات، وتبلغ تكلفة العملية الواحدة «٢٥٠٠» جنيه إسترليني.

وتضيف «جيني ستيوارت» استشارية الطب الإنجابي في مركز «نيوكاستيل للإخصاب»: «**فهناك سلسلة من التحضيرات يجب القيام بها، تبدأ بتحديد عدد البويضات في الرحم من خلال اختبار طبي، ومن ثم إجراء فحص للهرمونات ومراجعة التاريخ الصحي للعائلة.**

ومن الناحية الطبية تشبه عملية تجميد البويضات عملية طفل الأنابيب، حيث تعطى للمرأة حقنة هرمون تحفز الجهاز التناسلي على إفراز البويضات، وبدلًا من إفراز بويضة واحدة تفرز المرأة عشرات البويضات، ويتم الانتظار حتى تنضج جميعها، ومن ثم يقوم الطبيب بإخراجها وتجميدها في سائل نيتروجين في وحدة التخصيب بطريقة آمنة وسليمة».

وتتابع قائلة: «**قبل استعمال المواد المجمدة يتم فحص نوعيتها لاختبار خلوها من الشوائب والتأثيرات الخارجية واختيار السليمة منها فقط. ويحافظ**

التجميد على عمر البويضة فتبقى في العمر الذي أخذت عليه مهما طال الزمن».

ولكن العاملون في هذا المجال يرون أنه كلما بكرت المرأة في تخصيب بويضاتها كلما كان أفضل لها، وهذا يعني في أواخر العشرين وأواخر الثلاثين، لأن الإخصاب يكون في ذروته في تلك الفترة.

وتشير الإحصائيات إلى ولادة ثلاثمائة طفل عن طريق هذه التقنية، ولكن ما زال هناك بعض التخوف لدى الكثير من الخبراء من إجازة استخدامها دون قيود، ويفضلون حصرها في نطاق الحالات الصحية الحرجة، ففي اعتقادهم هي لا تزال في بدايتها، وبحاجة إلى المزيد من البحث والدراسة، ويرون أنها تناسب المرأة التي لديها مشكلات صحية خطيرة تهدد خصوبتها، ولا مبرر لاستخدامها من قبل النساء الشابات اللاتي يتمتعن بالصحة، خاصة بعد أن دفعت في أغسطس عام «٢٠٠٦» امرأة حياتها ثمنًا لهذه التقنية.

يتكون هذا الفصل من المباحث الآتية:

المبحث الأول: علاج العنوسة بالوعي

المبحث الثاني: اختلاف علاج العنوسة على حسب الإقليم

المبحث الثالث: خطوات ذاتية لعلاج العنوسة

المبحث الرابع: العفة طوق النجاة

الفصل السادس

علاج العنوسة

المبحث الأول: علاج العنوسة بالوعي

لم تكن العنوسة تمثل مشكلة اجتماعية بارزة في مجتمعنا في الماضي القريب، بل تكاد محدودة، وهامشية، وإذا وجدت فتأخذ طابعًا شبه استثنائي ومعزول.

ومع التسليم بأن ظاهرة العنوسة آخذة في الاتساع في كل المجتمعات، مع اختلاف نسبتها وحدتها من قطر لآخر، ومع اختلاف العوامل والملابسات التي تقف وراء هذه الظاهرة، وما يتبعها من آثار خطيرة على الفرد والمجتمع، فإنه يلزم تكاتف كل الجهود على كافة المستويات لمحاربة هذا المرض اللعين، ووقف خطواته السريعة التي تقترب من كل بيت وتفرض نفسها عليه ابتداء من الشاب والفتاة وولي الأمر والأسرة وأهل الخير والصلاح والأئمة والدعاة والأساتذة والمثقفين والعلماء للتصدي لهذا الخلل الاجتماعي.

وكذلك وسائل الإعلام المختلفة لها دور كبير في التوجيه والتوعية بخطورة هذا المرض وما يتبعه من مشاكل كثيرة، وخلق درجة من الوعي وتحمل المسئولية لكل فرد من أفراد المجتمع لمواجهة الآراء الغربية المستوردة التي تشكك في تعاليم ديننا الإسلامي السمحة سواء بصورة مباشرة، أو غير مباشرة كمهاجمتها لنظام تعدد الزوجات، وبث الشك والريبة، بل والنفور في أبناء المجتمع المسلم، كما أن دعاوى الحرية والاستقلال المادي والمعنوي،

وتحقيق الذات، وأن الزواج يقف عائقًا دون التفوق والتميز التي ينادي بها أعداء الإسلام تلعب دورًا مهمًا في انتشار العنوسة واتساع رقعتها.

وبداية لا بد من تشخيص الداء لمعرفة نوعية الدواء والمتمثل في القضاء على الأسباب المؤدية للظاهرة، ومن أهمها العادات المتفشية في المجتمع مثل غلاء المهور، وما يتبعه بما يسمى بالتقاليد التي تقف حائلًا دون تحقيق الأمر الذي أراده الله جل شأنه، والذي رغبت فيه شريعة الإسلام.

لهذا كان الرسول ﷺ يزوج على آية من كتاب الله، أو سورة يعلمها إياها، بل إن الإسلام ذهب إلى أبعد من ذلك، كما يقول الأستاذ عبد الله المدني فإذا وجد الولي شابًا حسن الأخلاق وصالحًا فينبغي أن يتقدم هو لخطبته، كما ذكر الله عز وجل في قضية زواج موسى عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ .... [القصص: ٢٧].

وقصة سعيد بن المسيب الذي خطب لابنته من طلبة العلم.

وهناك من يجعل البطالة سببًا في تأخر الزواج إلى أن يصبح عانسًا، وهذا خطأ؛ لأن الزواج بركة في حياة الإنسان وكثرة في رزقه، كما جاء في حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام: «ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللهِ عَوْنُهُمْ: الْـمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْـمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»(١).

(١) رواه النسائي: ح(٣٢١٨)، والترمذي: ح(١٦٥٥)، وحسنه.

وقال عز وجل: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .... [النور: ٣٢]، والمسألة يقين وتوكل على الله سبحانه وتعالى فمن أراد الغنى فليتزوج.

وما نلحظه الآن من فساد عظيم حيث أصبح اختيار الزوج على أسس دنيوية وتحكم النزعات القبلية فيجب أن يبنى الزواج على شرطين:

الأول: هو التدين.

والثاني: يتمثل في الأخلاق.

فمن كان متدينًا ذا خلق حسن فهو أهل للزواج، وإلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض.

ويرى اختصاصي علم النفس التربوي «أحمد الإمام» أن من أهم الحلول هو الوعي بالصحة النفسية من خلال برامج تربوية عن الأمراض النفسية الناتجة عن العزوف عن الزواج، كذلك الأمراض العضوية من خلال وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية، وأيضًا الجمعيات الأهلية.

كما يجب أن نهتم بالإنسان من الجانب المهني والاجتماعي، وكذلك العضوي، فالمحافظة على الجسد من أهم الضروريات، بمعنى أن الإنسان يجب أن يتزوج، ويجب على الأسر سواء للشباب، أو الفتيات أن تساعد الشباب على الزواج وتزيل المعوقات من أمامهم.

ويرى «الدكتور محمد المهدي» استشاري الطب النفسي أن نشر ثقافة الزواج لتوفير الكثير من الاحتياجات النظرية للنفس البشرية بشكل سوي يتوافق مع القيم الدينية والأخلاقية والأعراف السليمة، فالزواج، رغم انتقاد البعض له، أو الشكوى من مشاكله، هو أفضل مؤسسة اجتماعية عرفها البشر حتى الآن ويؤدي وظيفة بنائية ضرورية لاستمرار الجنس البشري وارتقائه، خاصة في حالة قيامه على أسس سليمة.

ومما يساعد على علاج ظاهرة العنوسة أيضًا الاهتمام بدعم شبكة العلاقات الأسرية والاجتماعية التي تيسر التعارف والتزاوج وتعزز الثقة المشجعة على الاقتران.

وكذلك تبسيط إجراءات الزواج ونفقاته بما يتناسب مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية الحالية.

إتاحة الفرص لعمل الشباب العاطل، فالشاب العاطل غير المتزوج يعيش حالة من عدم الاستقرار يقابله فتاة عانس غير مستقرة، وهذا ما يؤدي إلى عدم الاستقرار والكثير من مظاهر الانحراف والتطرف.

ومن الوسائل الفعالة لمحاربة العنوسة إنشاء جمعيات أهلية تهتم بتسهيل التعارف وتسهيل إجراءات الزواج لمن يريدون، وإنشاء صناديق الزواج، وقبول تعدد الزوجات بشروطه الشرعية كجزء من الحل، خاصة إذا عرفنا أن

الشباب غير المتزوج غالبًا ما يعزف عن الاقتران بعانس، خاصة حين يكبر سنها، وبالتالي لا تجد أمامها إلا فرصة الزواج بالرجل المتزوج من قبل.

ويجب تشجيع الباحثين في علم الاجتماع لدراسة ظاهرة العنوسة كظاهرة اجتماعية خطيرة، وتخصيص ميزانية من قبل منظمات المجتمع المدني لعمل دراسات ميدانية تضم الشباب والفتيات كل على حدة لتحديد أسباب المشكلة، وإيجاد الحلول على أرض الواقع، ووضع برامج لحل هذه المشكلة.

ومن وسائل العلاج خلق أشكال جديدة وعديدة للوساطة لتعريف العائلات، وتسهيل الزواج، وتقليل أعداد العوانس من الرجال والفتيات.

تمكين الشباب من الزواج وهم طلبة ويستمران بالتعليم بعد الزواج، وعلى الدولة أن تتحمل مسئولية حضانة للأطفال في حالة كون أحد الأبوين طالبًا، وكذلك يمكن مساعدتهم بإعانة مالية.

إيجاد سوق خيري يقوم بإيجاد مصادر لتمويل العوائل ذات الدخل المحدود، وتقديم منح للشباب والشابات لتشجيعهم على الزواج.

إيجاد جمعيات خاصة للنساء العوانس تهتم بمشاكلهن، وإيجاد فرص عمل لهن، إننا نحتاج أن نزرع في أذهاننا وأذهان أبنائنا وبناتنا «الزواج العبادة» ولو ساد هذا التصور لانكمشت العنوسة، ولزالت الكثير من العقبات الطبيعية والمصطنعة التي اجتهدنا بوعي منا، أو بغير وعي بوضعها أمام الزواج وتحت

ذرائع شتى، ولانعكس ذلك على الكثير من خططنا سواء على المستوى الشخصي، أو التخطيط العام والمتمثل في الأنشطة التنموية، والتي ينبغي أن تضع في المقام الأول الخصوصية الحضارية والإنسانية بطريقة أكثر وضوحًا وشمولًا.

فمثلًا التعليم كأحد المظاهر التنموية البارزة ينبغي أن يعاد النظر في تأثيرها على الزواج الفريضة، نصف الدين؟ أليس من العجب أن يكون التعليم عائقًا للزواج، أليس غريبًا أن يرتفع سن الزواج إلى معدلات قياسية لم تكن بالبال ولم تكن موجودة عند الآباء والأجداد الذين جعلوا الزواج المبكر هو السلاح الفعال لمقاومة العنوسة، كما جعلوا تيسير الزواج عرفًا اجتماعيًّا ومروءة خلقية بدلًا من التنطع بالمواصفات، ومن هنا تبرز الحاجة إلى تقييم العملية التعليمية من ناحيتين، وهي:

الناحية الأولى: إعادة النظر في المراحل التعليمية المختلفة وتدرجها يمكننا اختزال سنتين، أو أكثر.

الناحية الثانية: إعادة النظر في المناهج التعليمية والبرامج، والتي تهمل سواء بقصد، أو بدون قصد أن تكويننا الخاص وظروفنا الخاصة وتصورنا الذي يحرص على التأهيل المبكر للأبناء والبنات في تحمل المسئوليات الاجتماعية والاقتصادية ومنها الزواج.

ولماذا تذهب بعيدًا؟ فها هو عبد الله بن عباس رضي الله عنهما كان أصغر

الصحابة سنًّا، وكان يحضر مجالس الصحابة وهو مراهق.

وزيد بن حارثة رضوان الله عليه يقود جيشًا إلى بلاد الروم وهو ذو الستة عشر ربيعًا.

وبرامج التعليم ومناهجه لا تتضمن الإعداد النفسي والتربوي للزواج. وبعد مرور سنوات غالية من العمر في التعليم يجد الشباب والفتيات أنفسهم دون مهارات حقيقية قابلة للاستعمال في سوق العمل.

إن مراجعة المناهج الدراسية كما وكيفًا بما يجعل التعليم أداة تنوير وحث على الزواج لا عائقًا، أو حجة للهروب منه، كما ينبغي أن يكون الزواج حافزًا على الإنتاج والإبداع في مجالات الحياة المختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية، كما يجب دعم المتزوجين من الطلاب والطالبات وتشجيعهم عن طريق البدلات والمكافآت والتسهيلات من سكن وعلاج وخلافه.

وعلى وسائل الإعلام القيام بالدور الفاعل في التوعية والإرشاد والحث على الزواج والترغيب فيه ومناقشة مشكلاته بأسلوب يخلو من التصعيد والإثارة، فالنظر إلى العديد من الأعمال الفنية المعاصرة تناهض الزواج وترسم صورًا أما مشوهة وبشعة منفرة، أو ترسم صورًا بالغة الرومانسية وغير واقعية، فضلًا عن عدم ملاءمتها للظروف الاجتماعية.

ويرى خبراء الاجتماع وعلم النفس أن المؤسسات الاجتماعية والجمعيات

الخيرية يمكن أن تجند طاقتها وجهودها لمواجهة تفشي ظاهرة العنوسة، وإعادة الاعتبار إلى شكل الزواج بوصفه رباطًا أسريًّا وليس علاقة تجارية، وذلك من خلال تنظيم الندوات والمحاضرات الدورية للتوعية بالمفهوم الإسلامي للزواج، ولمحاربة شتى العادات والتقاليد التي عفا عليها الزمن.

فضلًا عن إقامة الأسواق الخيرية المختلفة التي تساهم في توفير متطلبات بيت الزوجية بأسعار معتدلة وبهامش ربح بسيط، أو تقديم المساعدات المالية والقروض الحسنة لراغبي الزواج، على أن يتم تقسيطها وفقًا لظروف المقترض.

وكذلك صناديق الزواج، وحفلات الزواج الجماعي التي تضم أعدادًا من الشباب والشابات في زفاف واحد ضخم.

وتمثل الدعوة لتعدد الزوجات حلًّا آخر من حلول مشكلة العنوسة بشرط العدل بينهن في المبيت والنفقة والقدرة الصحية والمالية، وهو مبدأ إسلامي حكيم.

إلا أن فكرة التعدد ما زالت تلقى معارضة شديدة في المجتمعات العربية، وهو ما كشفته ردود الفعل المتباينة في الشارع العربي على مسلسل «عائلة الحاج متولي» الذي شنت عليه النساء العربيات حملة هوجاء معتبرين أنه «عودة إلى عصر الحريم والجواري» والواقع يكشف بوضوح أن الزواج من الثانية محرم اجتماعيًّا بسبب النظرة الاجتماعية الخاطئة لمن تزوج على زوجته، وتوهمهم أن

هناك عيبًا فيمن تزوج عليها زوجها، كما أن الزوجة قد تكون قريبة للزوج، ولا تسمح وأهلها بزواجه من أخرى، بالإضافة إلى الاحتجاج بالنفقة وقلة الدخل مع أن مصروف أسرة واحدة في أغلب الدول العربية قد يفوق ما ينفق على عشر أسر في بعض البلاد الإسلامية الأخرى.

وقد دعا مفتي عام المملكة العربية السعودية رئيس هيئة كبار العلماء الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ إلى تعدد الزوجات، وهو أمر قد شرعه الله جل شأنه لصالح المجتمع، وأن على المرأة أن تقبل أن تكون زوجة ثانية، أو ثالثة باعتبار ذلك خيرًا من العنوسة، مؤكدًا أن زواج المرأة من رجل ذي دين وكفاءة وخلق ومعه زوجة أخرى لا عيب، ولا نقص فيه ومن يشكك في التعدد فهو ضال.

ومن كل ما تقدم يتضح لنا أن العلاج لهذه الظاهرة ليس بالأمر الهين، ولكنه طريق طويل وشاق يحتاج إلى تضافر كل الجهود الفردية والمجتمعية والرسمية وجميع الحلول تصب في بوتقة «الرجوع إلى الشريعة الغراء والشرع المطهر»، وصدق قول الحق: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ .... [طه: ١٢٣-١٢٤].

ويتمثل علاج داء العنوسة في:

١- إعادة البناء الديني العقدي للأمة:

فالأمة قد ابتليت في عقيدتها، فتشوش على الكثير إيمانه وتصديقه لربه ولرسوله الكريم ﷺ، فضعف التدين عند الكثيرين في أن الله يعين المتزوج للعفاف ويوسع عليه في رزقه من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب، ولم يعد الزواج عبادة عند البعض، وإنما مجرد شهوة وليس قربة يبتغي بها وجه الله تعالى أولًا، ثم متعة النفس وعفتها ثانيًا، ومشكلة الناس في بعض التشريعات كالتعدد مثلًا وبدلًا من أن يكون حلًّا جعلوه بابًا يهاجمون به الدين وأهله. إضافة إلى انصراف القلوب عن اليقين بأن حلول المشاكل في الطاعة لله ولرسوله ﷺ.

٢- إعادة البناء الأخلاقي:

وذلك بإعادة المفاهيم الصحيحة في قلوب العباد وخاصة الشباب بغرس محبة الطهر والعفاف، وتعظيم معاني الشرف والمروءة وحفظ الأعراض، والنخوة والرجولة والفحولة والحياء والستر وغض البصر، خصوصًا بعد الغزو الفضائي والإعلامي الهادف لهدم كل معاني القيم، والداعي لكل رذيلة وتحلل. فكل ما يعرض هو دعوة للتحرر والتحلل، ونداء يصم الأذان لإظهار المفاتن وإبراز العورات، وهدم كل حصن للفضيلة. وليس لتكوين الأسر عندهم مقام، ولا للزواج وفضائله مكان، بل شهوات تسنح.

٣- علاج غلاء المهور:

لقد عالج الشرع هذا الأمر والذي يعد من أهم عقبات الزواج، كما جاء

في قوله: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ .... [النور: ٣٢].

وقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا»(١).

وأما سنته العملية فما أصدق رسول الله ﷺ أحدًا من نسائه، ولا زوج بنتًا من بناته على أكثر من «٥٠٠ درهم»(٢).

فالشرع جعل الصداق مكرمة للمرأة، فلا ينبغي أن تحول به المرأة إلى سلعة تباع وتشترى، فليس هناك أعظم من فاطمة، ولا أشرف، ولا أطهر، ومع ذلك زوجها النبي ﷺ على درع. فالاعتدال مطلوب.

إن الآباء وأولياء الأمور الذين يغالون في المهور وتكاليف الزواج هم في الواقع قوم ظالمون ومستبدون وأنانيون لا يدركون هذا الواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه، ولا يقدرون المفاسد الاجتماعية التي تنجم عن ذلك.

وعليهم أن يقدروا مصلحة الشباب من الانحلال، ومصلحة البنات من السقوط، ومصلحة المجتمع من الفساد، وينهجوا نهج السلف الصالح في

(١) رواه الإمام أحمد: ح(٢٣٩٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد: ح(٢٤١٠٥)، والنسائي: ح(٣٣٤٧)، وابن ماجه: ح(١٨٨٦).

التساهل بالمهور، والبحث عن الخاطب الصالح، والزوج المسلم للتخلص من داء العزوبة البغيض.

٤- محاربة المغالاة في تكاليف الزواج

من هدايا ونفقات العقد وحفلات العرس والولائم وغيرها من تكاليف باهظة نتيجة التقليد الأعمى والمباهاة والمفاخرة الزائفة.

وهي عادات متحكمة متسلطة يستفحل بها داء العزوبة والعنوسة، وهي بعيدة كل البعد عن تعاليم الإسلام السمحة، وهي ليست من شروط العقد والنكاح، وإنما ترجع إلى الإمكانية والمتاح لدى الشباب واستطاعته المالية.

ولما تزوج الرسول ﷺ من السيدة صفية كانت وليمة الزواج السمن والأقط والتمر.

ولقد كان زواج سيدة أهل الجنة فاطمة الزهراء حيث قال علي رضي الله عنه «**جَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فِي خَمِيلٍ وَقِرْبَةٍ وَوِسَادَةٍ حَشْوُهَا إِذْخِرٌ**»(١).

ولما تزوج عبد الرحمن بن عوف قال النبي ﷺ له: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»(٢).

٥- عرض الرجل موليته على الصالحين

فإذا وجد ولي المرأة رجلًا صالحًا دينًا ذا كفاءة فلا مانع أن يعرض عليه

(١) رواه الإمام أحمد: ح(٦٤٤)، والنسائي: ح(٣٣٤٨).

(٢) رواه البخاري: ح(٢٠٤٨)، ومسلم: ح(١٤٢٧).

موليته بنته، أو قريبته، وهذا لا غضاضة فيه، بل هو فعل أهل العقل، كما فعل عمر رضي الله عنه، ففي صحيح البخاري: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْـخَطَّابِ حِينَ تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، تُوُفِّيَ بِالْـمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا. قَالَ عُمَرُ: فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ.

فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا رَسُولُ الله ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ إِلَّا أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ الله ﷺ وَلَوْ تَرَكَهَا لَقَبِلْتُهَا»[(١)]. فهل نحن أفضل من عمر الفاروق؟!

٦- التعامل الأمثل مع سوء تصرف بعض النساء

الخاصة بقضايا الخطبة والزواج بأن يقف المولى، أو الأب تجاه هذه التصرفات غير الحكيمة موقفًا حاسمًا، وأن يتولى الأمور بنفسه ويستشعر بمسئوليته ويضع الأمور في نصابها دون ظلم، ودون استبداد، وصدق قول

---

(١) رواه البخاري: ح(٤٠٠٥).

الحق: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ .... [البقرة: ٢٦٩].

وهذا لا يعني أن يهمل الأب رأي الفتاة والزوجة في أمر الزواج، بل يستشيرهم ويضع الأمور في مكانها السليم دون عواطف، أو انفعالات وقتية، فإن في ذلك تذليل لكثير من العقبات التي تقف حجر عثرة أمام إتمام الزواج.

٧- محاربة الإرواء الغريزي غير المشروع

الشباب في هذه الأيام التي استفحل مجونها استشرى انحلالها لا يشعر الرغبة في الزواج فكيف يفكر الشباب بالزواج، وها هي أبواب إبليس تحيط به من كل جانب، وجنوده يحيطون به. وإذا الشاب انقاد للفتنة واستسلم للميوعة، وعزف عن الزواج لأنه وجد ما يشبع غريزته الهابطة في الحرام، وهذه من أهم العقبات التي تقف في طريق الزواج وتساعد على العنوسة.

ويلزم تكاتف أبناء المجتمع كله للتخلص من هذا العرض الخطير، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع بيع المجلات الخلاعية، والقصص والمجلات الجنسية، والفضائيات الإباحية، ونشر الوعي الصحي والديني والاجتماعي والأخلاقي من هذه الأفعال الماجنة من خلال وسائل الإعلام وعلماء الدين والأئمة والعلماء حتى يتحقق الأمن والاستقرار للشباب والمجتمع بالزواج الذي يعصمهم من الوقوع في الزلل.

المبحث الثاني: اختلاف علاج العنوسة في الأقطار العربية

كما تختلف ظاهرة العنوسة وأسبابها ونتائجها بين بلد وآخر، فإن خطوات العلاج تختلف من قطر لآخر ولعل من الخطوات الرائدة على طريق علاج ظاهرة العنوسة

في المملكة العربية السعودية:

- **المشروع الخيري بجدة** الذي يعرف باللجنة الخيرية لدلالة الراغبين في الزواج، وإصلاح ذات البين عام «١٤٠٨هـ» برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الغامدي وتتمثل أهدافه في:

١- تحصين الشباب من الجنسين بما أحل الله تعالى والاهتمام بالعوانس والمطلقات والأرامل.

٢- إقناع أولياء أمور الفتيات والعوانس بالمبادرة بتزويجهن لمن يرضون خلقه وأمانته.

٣- الحد من العادات والتقاليد المخالفة لشرع الله.

٤- الحد من غلاء المهور.

٥- حث الشباب على التمسك بالحلال وعدم السفر للخارج طلبًا للحرام وما يتبعه من انتشار الأمراض الخبيثة.

٦- إقناع الفتيات بالتعدد حسب الشرع الحنيف وتصحيح مفاهيم المجتمع نحوه.

٧- حث الرجال الراغبين في التعدد على أن يتقوا الله ويعدلوا بين زوجاتهم في النفقة والمبيت.

٨- تزويج صاحبات العاهات حيث يرفضهن المجتمع.

٩- إصلاح ذات البين وحل المشاكل الزوجية.

وأثبتت التجربة نجاحها وحاجة المجتمع لفكرة الوسيط في زمن تفرق الناس فيه بسبب مشاغلهم، وتباعد مساكنهم، واختلاف أجناسهم وقد بلغت نسبة الفتيات السعوديات اللاتي يتصلن باللجنة نسبة تصل إلى «٧٥٪» بين فتيات العالم الإسلامي، كما نجح المشروع في خفض المهور، وقد وصل أقل مهر قام به المشروع ريال واحد.

- **ومن المحاولات الجادة التي آتت ثمارها** هي الخطوة التي بدأ الشيخ عبد الإله إسماعيل أحد معلمي التعليم العام في مكتبة مسجد الأمير منصور بن عبد العزيز بجدة مستقبلًا طالبي الزواج من داخل جدة، ويستقبل المكالمات من خارج جدة من منزله وتساعده زوجته

ومديرات مدارس تحفيظ القرآن ومدارس التعليم العام، ومحاضرات في الجامعة.

- **ومن الحلول المناسبة للقضاء على ظاهرة العنوسة** والحد منها، كما يقول الشيخ محمد بن إبراهيم الحقيل[1]:

١- التوعية بخطر هذه الظاهرة ونتائجها السلبية على المجتمع بأسره عبر وسائل الإعلام المختلفة، كذلك على أهل العلم والخطباء والوعاظ والمحاضرين تناول هذه الظاهرة ونشرها على مسامع الناس بين الحين والآخر.

٢- تقليل تكاليف الزواج وجعل الزواج ميسورًا لمن أراده، وتخفيف الشروط والنفقات.

٣- تشجيع تعدد الزوجات وجعل ذلك أمرًا سائغًا مشروعًا، بل مستحبًّا ومندوبًا إليه، فكون المرأة تظفر بزوج متزوج يرزقها الله منه أولادًا خيرًا لها من عيشتها وحيدة محرومة من الزوج والأولاد.

٤- تغير نظرة المجتمع تجاه العادات والتقاليد البالية كحجر زواج الفتاة في نفس العائلة، أو القبيلة واعتبار الأصل والحسب والنسب أساس رفض الزواج دون اعتبارات أخرى.

---

(١) جريدة اليوم (١٨ صفر ١٤١٤هـ) المملكة العربية السعودية.

٥- المبادرة بالزواج من الكفء دون تردد عملًا بالشريعة السمحاء.

٦- توعية الوالدين بأن طلب بناتهم الزواج حق شرعي لهن، فلا عيب فيه وذلك من خلال خطب الجمعة والمحاضرات والندوات بوسائل الإعلام.

٧- على المجتمع بكل طاقاته وقدراته دعم المشاريع الخيرية التي تسهل وتحفز الزواج وتحارب العنوسة.

• جمعية البر بالمنطقة الشرقية بالسعودية أقامت مشروع تيسير الزواج للتوفيق بين راغبي الزواج، وتقديم المساعدات المادية، والقروض للشباب المقبل على الزواج، وإحياء مبدأ التكافل الاجتماعي بين المسلمين، وتقديم المساعدات العينية مثل الأثاث الجديد، أو المستعمل الذي يقدمه المتبرعون ومحبو الخير بالإضافة إلى توسط إدارة المشروع لدى المتبرعين من أهل الخير لتوفير مكان مناسب لإقامة حفل الزواج بسعر تشجيعي، أو الحصول على تخفيضات في أسعار الأثاث والتجهيزات.

• **وتنتشر حفلات الزواج الجماعي في معظم أنحاء المملكة** ومن أهمها مهرجانات الزواج الجماعي في محافظة الإحساء مع بداية كل إجازة صيفية حتى باتت خطوة مألوفة لدى بعض القرى في المحافظة وانتشرت منذ «١٥» عامًا وزوجت أكثر من «١٨» ألف شاب وفتاة من مختلف مدن

وقرى المحافظة.

وقد تكرر ذلك في كل من الرياض وجدة ومكة وغيرها من مدن المملكة برعاية أمراء المناطق ومحافظي المحافظات.

في الكويت

- **قامت مجموعة من رجال الأعمال ومسئولي الجمعيات الأهلية والخيرية بتأسيس صندوق الزواج** الذي يبلغ رأسماله خمسة ملايين دينار تزيد في المستقبل لتصل إلى أكثر من ثلاثين مليون دولار «حوالي عشرة ملايين دينار» بهدف التوفيق بين الراغبين من الجنسين في الزواج وتقديم القروض المالية بدون فوائد، وعلى أقساط قليلة ومريحة للحد من مشكلة العنوسة التي بدأت تتسع رقعتها.

وتسعى اللجنة التأسيسية للصندوق لتخصيص وقف دائم لدعم رأسمال الصندوق إضافة إلى القروض الحسنة التي يقدمها أهل الخير وبعض الشركات لهذا القرض، والتبرعات المالية من الجهات الحكومية بالإضافة إلى مبالغ سنوية من زكاة الأفراد والمؤسسات والشركات المختلفة في المجتمع الكويتي ومساعدة الفنادق ورجال الأعمال وبعض المؤسسات.

في مصر

- **حيث أظهرت آخر الإحصائيات أن الفتيات** ممن بلغن سن ثلاثين

عامًا ولم يتزوجن تصل نسبتهم إلى «٣٨٪» من إجمالي النساء والبالغات سن ثلاثين عامًا، وهذه نسبة كبيرة مقارنة بالماضي.

- **فعلى الجميع أن يتنازل عن الشروط والمواصفات** ويقبل الجميع بالأمر الواقع ومساعدة الشباب بقليل المهور والتكاليف وإقامة أعراس جماعية تقوم بها جمعيات ومنظمات حكومية وأهلية.

- **وثيقة تأمين،** ولعل من أحدث وسائل العلاج لمرض العنوسة الذي بدأ يتوغل في المجتمع اقترحت إحدى شركات التأمين المصرية «وثيقة تأمين ضد العنوسة» تبدأ بقسط شهري مقداره مائة جنيه بحيث يدخل المستفيد بياناته والمدة التي يريد قبض قيمة التأمين بعدها عند بلوغ ابنه سن الزواج، وتفيد هذه الوثيقة إذا كانت أسباب العنوسة مادية فقط.

- **جمعية أنصار السنة المحمدية:** بمسجد التقوى بحي عابدين بمصر بدأت الفكرة عند الشيخ عزت عبد اللطيف والمهندس حسن والسيد الشيخ سيد النجار ومسئولة الأخوات إيمان النجار، وذلك على طريق محاولة علاج داء العنوسة ومساعدة الفتيات والشباب للتوفيق بينهم لتكوين أسرة ملتزمة بالأخلاق الإسلامية.

- **وقد زادت نسبة الزواج الفعلي يومًا بعد يوم** حيث تمثل «٧٠٪» من

الاستمارات الموزعة ويمثل المتقدمون كل فئات المجتمع من الناحية الثقافية والاجتماعية، ويمثل المثقفون إلى المهنيين نسبة «٤: ١» ونحو «٥٦٪» من المتقدمين فوق سن الثلاثين و«٤٧٪» من المتقدمات فوق سن الثلاثين، «٦٣٪» من الفتيات لا يطلبن التعجيل بالزواج فيما يطلب ٧٢٪ من الشباب التعجيل.

- **وقد دعت إحدى الصحفيات المصريات «هيام دربك» إلى تعدد الزوجات كحل لظاهرة العنوسة** من خلال تأسيس جمعية أهلية ترفع شعار «زوجة واحدة لا تكفي» بهدف مساعدة الشباب على الزواج وتيسير الزواج لغير القادرين وبدأت بالفعل الترويج لفكرة الجمعية كعلاج لظاهرة العنوسة والعزوف عن الزواج. وقد تسببت هذه الفكرة في ثورة بعض النساء واتهامها بالجنون واتهمها البعض الآخر بالبحث عن الشهرة، وهددها البعض بالويل والثبور وعظائم الأمور وحتى المنظمات الحكومية النسائية أخذت موقفًا من الفكرة.

في دولة الإمارات العربية المتحدة:

نعم لقد أصبحت العنوسة من أكبر المشكلات الاجتماعية التي تواجه دولة الإمارات. مؤسسات الدولة لم تأل جهدًا في القضاء على هذه المشكلة ابتداء من مساعدة الشباب على الزواج وانتهاء بالحث على تقليل المهور التي تعد أحد أبرز أسباب الظاهرة.

وتشير الأرقام إلى أن عدد الفتيات اللاتي تخطين سن الثلاثين، وصنفن عانسات قد بلغ أكثر من «١٧٥ألف» فتاة، أي أن كل أسرة إماراتية لديها عانس!

ولعل من أهم الخطوات الجادة:

- **إنشاء صندوق الزواج بدولة الإمارات**، والذي جاء إنشاؤه بمبادرة من الشيخ زايد لتنفيذ أهداف السياسة الاجتماعية الرامية إلى مواجهة مشكلة العنوسة.
- **وبلغ عدد المستفيدين من المنح منذ نشأة الصندوق عام «١٩٩٣» وحتى شهر سبتمبر «٢٠٠٣» حوالي «٦٩ ألفًا و٦٢٢» مواطنًا ومواطنة** دخلوا إلى عش الزوجية، كما أن المبالغ التي حصل عليها المستفيدون من المنح خلال تلك الفترة بلغت نحو مليارين و٢٨ مليون درهم، وبلغ عدد المتقدمين عام ٢٠٠٣ حوالي ٤٢٠٠ مواطن.
- **واستجابة للشيخ زايد فقد بادرت القبائل والعشائر** فأصدرت مواثيقها التي حددت فيها المهر والذهب والكسوة ومصاريف حفل العرس وتعهدت بإلغاء الكثير من المظاهر التي ترهق العريس وأهله كمقاطعة الفرق الموسيقية عدا فرق الفنون الشعبية مثل الرزفة والعيالة.
- **ويقسم الصندوق المنح التي يقدمها إلى الشباب الراغب في الزواج**

إلى جزأين: الأول: أربعين ألف درهم يصرف بعد عقد النكاح مباشرة بالنسبة للشباب، والجزء الثاني ثلاثين ألف درهم بعد إتمام مراسم الزواج.

- إن المؤشرات تدل على نجاح مؤسسة صندوق الزواج التي ساعدت على تكوين العديد من الأسر المستقرة، مشيرًا إلى التغيير الإيجابي في مسيرة الصندوق حيث أصبح هناك تحسن ملموس في بعض الأرقام، إذا ازدادت معدلات زواج المواطنين من المواطنات بنسب جيدة وبلغت في بعض الإمارات «٧٩ بالمائة» وانحسرت نسبة زواج المواطنين من أجنبيات في ظل صندوق الزواج إذ بلغت في عام «٩٣» في بعض الإمارات «٤٠» بالمائة.

- وتهدف خطة الصندوق إلى إيجاد وعي اجتماعي وثقافة زوجية مستمدة من تعاليم الشريعة الإسلامية، ورفع معدلات زواج المواطنين من مواطنات ودراسة أسباب ارتفاع نسب الطلاق بالمجتمع والوسائل الاجتماعية التي يمكن تنفيذها لخفض هذه النسبة.

- وقد أسهم الصندوق بشكل ملحوظ في زيادة إقبال الإماراتيين على الزواج من الإماراتيات حيث إن الإحصائيات والأرقام تكشف حجم الدور الذي يؤديه الصندوق في هذا الاتجاه.

• تذكر «لطيفة.م»: «ثمة شبان يتعاملون مع المنحة على أنها حق لهم، ويسعون للحصول عليها بأي شكل دون التزام منهم بتنفيذ الأهداف التي أنشئت لأجلها. فالمنحة لم تغير من طبيعة الشاب الإماراتي الذي لا يزال ينظر إلى الأجنبية وكأنها الأمل بالنسبة له، لدرجة أن أحد الشباب من قبيلتي ارتبط بإحدى قريباته، وبعدما نال الجزء الأول من المنحة وأنفقها على نزواته لم يستكمل الخطوات التالية للزواج».

• أما سارة العبد الله فتقول: «إن صندوق الزواج ساهم في زيادة إقبال الشباب على الزواج من البنات، وهو أمر ملحوظ، ولا يمكن إنكاره، لكنه لم يسهم في وضع حد لظاهرة الطلاق، وثمة شبان يتزوجون بمنحة الصندوق، ويطلقون زوجاتهم وكأن بنات الناس، بالنسبة إليهم، لم يعدن سوى وسيلة للحصول على المنحة».

• وفي الوقت نفسه تؤكد إحصائيات صادرة عن صندوق الزواج انخفاض نسبة الطلاق بين المواطنين في دبي، حيث بلغت في العام «٢٠٠١م» نسبة «٢٢.٥٪» فتم تسجيل «٨٢٣» حالة زواج مواطن من مواطنة، وطلاق «١٦٩» حالة، فيما تم تسجيل «٢٦٥» حالة زواج مواطن من وافدة، مقابل «٨٩» حالة طلاق في العام نفسه.

• وقد استفاد «٥٥٢» مواطنًا بين المتزوجين من المنح التي يقدمها

الصندوق في عام «١٩٩٩م»، كما أن نسب الطلاق هي في انخفاض طبقًا لدراسة لصندوق الزواج.

- **ولم يعد دور الصندوق مقتصرًا على تشجيع الشباب للزواج ومنحه المال للإقدام على هذه الخطوة، بل أيضًا الحيلولة دون انهدام الأسر ووقوع الطلاق** من خلال دراسة أسباب ارتفاع نسب الطلاق بالمجتمع والوسائل الكفيلة بخفضها، وهو ما سيعمل من أجله الصندوق خلال المرحلة المقبلة حيث سيقوم بتنظيم دورات توعية للمتزوجين والشباب المقبلين على الزواج، حول قيمة الأسرة وكيفية الحفاظ عليها في مواجهة العواصف الاجتماعية التي يمكن أن تعيقها، أو تنال من الرباط العاطفي بين الزوجين.

- **وبالرغم من الجهود الإيجابية للصندوق يرى البعض على عكس هذه الإيجابيات** حيث يقدم الصندوق الدعم لمن يقدمون له مستندات، وهناك بعض الشباب الذين ينبغي أن يدعموا الصندوق نالوا منه الدعم عملًا بمبدأ «**حقي وأنا أتنازل عنه**» وفي الوقت نفسه خرج الصندوق عن هدفه بمنحه الكبار في السن والذين تجاوزوا الستين منحة زواج، كما منح كهل عجوز يسعى للزواج للمرة الثانية من شابة، وهو ما يستغربه ويرفضه البعض.

- **كما أصدر رئيس دولة الإمارات قرارًا بقصر الفرح على يوم واحد وحفلة واحدة** للرجال وأخرى للنساء توفيرًا للنفقات، وحدد عدد الذبائح بتسعة جمال صغيرة لأي عرس من أعراس الإماراتيين ووضع غرامة مالية لمن يخالف ذلك.

- **وتتميز هذه الجمعية بسرية المعلومات وجدية المتقدمين،** وقد تم العديد من حالات الزواج من جميع فئات المجتمع مثقفين ومهنيين وعمال وربات بيوت ومحجبات وملتزمات.

- **وتقترح د. سعاد صالح أن يكون هناك صندوق من أموال الزكاة يخصص مصرف منه لحل مشكلة الزواج،** وهو في سبيل الله، وهو ما أقره الفقهاء بإنفاقه في الجهاد والعتاد وبما أنه لا يوجد جهاد، ولا يوجد عتاد فإن الجهاد هذا هو جهاد النفس من المعاصي وعدم الوقوع في المعاصي

المبحث الثالث: خطوات ذاتية لعلاج العنوسة

إلى من لم تتزوج بعد، وجعلت الهم رفيقها، وغلفت بالحزن قلبها، وجعلت اليأس يدب في نفسها، وكل هذا لأنها لم ترزق بالزوج بعد.

رفقًا بنفسك أيتها الكريمة، فالزواج ليس فريضة يهدم دينك إن لم تفعليه، بل هو سنة الله في خلقه، يكتبها لمن يشاء، ويرزق بها من يشاء، ولا راد لقضاء الله، فكم من عالم وعالمة أثروا التاريخ الإسلامي بالأبحاث والكتب، ولم يكتب الله لهم أن يتزوجوا، ومع هذا ذاع صيتهم، وخلفوا وراءهم كنوز فكرية ثمينة، خير من كنوز الذهب والأحجار الكريمة، ولم يقلل هذا من شأنهم أبدًا.

أختي الكريمة، لماذا تعتزلين الناس؟ أو تكوني معهم بقلب حزين يائس، وكل ذلك بسبب عدم زواجك، وهذا فيه اعتراض على قضاء الله، فيا أختي، أنت لا تدرين! قد يكون في بقاءك دون زواج رحمة بك، فاشكري الله على أي حال، ولا تحزني، أو تعتزلي الناس، فهذا معناه شعورك بالنقص وكأن عدم الزواج، يخل في عقيدتك، أو ينقص من إيمانك وكرامتك.

أختاه تعالي لأخبرك كيف يكون عدم الزواج رحمة بك، إن كنت متدينة،

فهذا من نعم الله عليك، وكم من فتاة كانت في مثل حالك وتزوجت وفتنها زوجها فأبعدها عن دينها وانتكس حالها، فخسرت في الدنيا والآخرة. وقد حدث هذا حقًّا، فهذه فتاة تربت في بيت متدين، وعلى طاعة الله، وبعد زواجها اشتكى الجيران من حالها وحال زوجها بسبب أصوات الغناء المزعجة والعالية الخارجة من منزلها، ولا تسألين عن حال أبيها، وهو يسمع بشكوى الجيران والله المستعان، الآن يا أختي أليس الله لطيف بك وأنت مثل هذه الفتاة التي كانت تدعو الله بالزوج الصالح، فكانت هذه هي نهاية حالها! إذا اشكري الله أن فضلك على كثير من خلقه، وقدر لك هذا الحال لحكمة لا تعلميها، ولعل فيها تخفيف لذنوبك. ﴿ **ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا** ﴾ .... [الطلاق: ٥].

لن أنسى الجانب الهام، والذي هو سبب رغبة الفتيات في الزواج، وهو الإنجاب وإشباع الأمومة بداخلها، وهنا أيتها الكريمة أتمنى منك أن تنظري حولك وترين حال من تزوجت وقدر الله عليها عدم الإنجاب، تخيلي شعورها وكيف هو حالها؟ فهي والله في شقاء وعذاب لأنها حرمت من شيء هام، تسعى له كل امرأة، والحزن يملأ نفسها بالتأكيد، والله يرحم حالها ويفرج عنها، ويرزقها بالذرية الصالحة.

أختاه أليس حالك أفضل من حالها،فأنت محرومة من هذه العاطفة، بينما

تلك المرأة محرومة وفوق ذلك تشعر بالحزن، لأنها سبب في حرمان زوجها من عاطفة الأبوة، وهذا يشكل ضغطًا نفسيًا كبيرًا عليها.

أنت لديك أبناء إخوتك وأقربائك، فوجهي عاطفتك نحوهم، وعلميهم وساعدي في تنشئتهم على أحسن الأخلاق، وعلى طاعة الله، وقد تكوني معلمة ولديك فرصة لتربي من هم بين يديك خير تربية فأنت مربية أولًا ومعلمة ثانيًا، وقد تكونين طبيبة فتساهمين في شفاء طفل - بإذن الله - وتكونين سببًا لسعادته، المهم في كل هذا أن تحتسبي الأجر عند الله، وسيمتلئ قلبك بالسعادة الحقيقية ومعها الأجر العظيم.

أختي العزيزة، إن كنت تشعرين بأن عمرك يمضي ويحترق، فلا تجعليه يحترق فيكون هباء منثورًا، كعود الخشب اليابس، بل اجعليه يحترق كالشمعة التي تحترق لتنير الدرب للآخرين، وتضيء للآخرين حياتهم، وهدفها ابتغاء وجه رب كريم.

أما إن كنت تنشدين المودة والرحمة في الزواج، فلا يخفى عليك ذلك الحرمان والشقاء والجفاء الذي تعيشه كثير من النساء في ظل أزواج قصروا في حقوقهن ولم يراعوا شرع الله، فكان الزواج وبالًا عليهن، لذا عليك شكر الله فأنت لا تعلمين عن حالك بعد الزواج كيف سيكون.

لا تجعلي كل تفكيرك محصورًا في الزواج، فهكذا سيمضي العمر سريعًا

وموحشًا عليك، بل اصرفي هذا التفكير عن بالك، وتوكلي على خالقك، واجعلي همك رضى الله وتعلم دين الله، فأنت إن لم تكوني عالمة بكتاب الله وحافظة له فقد فاتك الكثير، فعليك بطلب العلم الشرعي وابتغاء وجه الله الكريم، وهكذا سيمر العمر وأنت كلك ثقة بنفسك وبالله لأنك توكلت على الله.

أختاه، لا تبالي بتلك الأوصاف التي تطلق عليك، فالعنوسة الآن تشمل الشباب قبل الفتيات، ولدي خمس قريبات في الثلاثين من أعمارهن، تزوجن بشباب تتراوح أعمارهم ما بين الثلاثين والخامسة والثلاثين، وفي هذا التأخير حكمة عظيمة شعر بها هؤلاء الفتيات والشباب معا، وهي أنهن عرفن قيمة الزواج، وجعلهن هذا الأمر يقدرن الحياة الزوجية، وكان دافعًا لهن لقيامهن بواجباتهن على أكمل وجه ابتغاء مرضاة الله، ولتعويض ما فاتهن، وسبحان من يوزع الأرزاق، كما يشاء، وغيرهن كثيرات من تزوجن، وهن في منتصف الثلاثينات، بل وحتى في الأربعين، وعشن في سعادة، وهناء، فليس المهم طول الحياة الزوجية، المهم وقت السعادة الحقيقية فيها.

أختي، اجعلي كلمة عانس رمزًا لعزتك وافتخارك بنفسك، ولا تجعليها خنجرًا مسمومًا تغرسينه بيديك في قلبك إن شعر الآخرين بعظم شخصيتك ونجاحك وعلو قدرك، فسيخجلون من توجيه هذه الكلمة لك، ولو حدث ووجهوا لك هذه الكلمة، فهذا لن يهز ثقتك بنفسك وثقتك بمن خلقك

وصورك وشق سمعك وبصرك، فمن أنعم عليك بهذا قادر على أن ينعم عليك بما هو خير لك.

انظري للراهبات النصرانيات، كيف أعرضن عن هذه الحياة بكل ما فيها واشتغلن بخدمة دينهن ومجتمعهن، وأوجدن لأنفسهن غاية، وهدفا، ولم تتوقف الحياة، أو يدب اليأس في نفوسهن. وهذا الأمر الأولى أن تقوم به فتاة الإسلام، مع فارق التشبيه، وهو أن الراهبات يمتنعن عن الزواج، لكن الغرض هو التأمل في كيفية شغلهن لأوقاتهن، ولله الحمد تاريخنا الإسلامي فيه من الأمثلة الكثير لنساء ترملن في سن صغيرة وبعضهن لم يتزوجن، وجعلن هدفهن نشر العلم، والرقي بأنفسهن ومجتمعاتهن، ولم يجعلن الحياة تتوقف لأنهن بلا أزواج، فما أبشع الحياة لو عشناها في انتظار مجهول، قد يأتي، أو لا يأتي[1] .

يا فتاتي، بأي عمر كنت، في العشرين، أو الثلاثين، أو الأربعين، أو حتى أكثر، أتعلمين بماذا أشبه حالك ؟

حالك كحال تلك اللؤلؤة الثمينة، الساكنة في أعماق البحار، لا أحد يراها، فهي محفوظة في تلك الأصداف، والتي لم تستخرج بعد! لأنه لم يأت ذلك الصياد الماهر الذي يعرف كيف يستخرج الجواهر الثمينة، أو بسبب

---

(١) واحات الصحبة الصالحة.

وجودها في أماكن بعيدة وعميقة يصعب على الصيادين الوصول إليها، وما أكثر اللؤلؤ الذي لم يستخرج بعد من أصدافه، لأي سبب كان، فهل يعني هذا بأنه رخيص، أو ثمنه قليل؟

يا فتاتي، فافرحي، واخرجي للناس، وارفعي رأسك عاليًا ليس من أجل العباد، بل من أجل رب العباد، واملئي قلبك بالعزة والرضى بقضاء الله، واجعلي هذا اليوم هو البداية الحقيقية لك، وتوجهي فيه لله، وادعيه أن يعينك على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن ييسر أمرك، ويفقهك في أمور دينك، ويجعلك نورًا لمن حولك، وأكثري من هذا الدعاء ورددي صباحًا ومساء **«اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»**[(١)].

لا يحزنك وصفهم لك بأقبح الصفات، وتذكري أنك لؤلؤة مكنونة، في صدفة محفوظة، تعيش حياة ساكنة في أعماق البحار وعدم اصطيادها لا يقلل من قيمتها أبدًا.

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: ح(١٣٢١)، والترمذي: ح(٣٥٦٣).

المبحث الرابع: العفة طوق النجاة

العفة هي اجتناب الرذائل والرفعة عن النقائص، والعفة فضيلة محاطة برذيلتين أيضًا: الدناءة والفتور. فإن أسرف فيها صاحبها وصل مرتبة الفتور وإن أحجم مال إلى الدناءة.

ومن ثمرات العفة أنها تورث صاحبها الورع والحياء مما يرفع قدره عند الخلق وعند الحق عز ثناؤه، وهي ثمرة تنشأ من حقيقة الإيمان فتكسو صاحبها حلل الثناء وسرعة إجابة الرجاء.

فالعفيف يجتنب ما حرم الله عز وجل ويكبح جماح النفس فيصدها عن هواها ويمنعها من شهواتها.

فما أسعد من ملك عنان نفسه، وقبض على زمامها، فإنه يأمن من الوقوع في مهاوي الردى ومواطن الهلاك وما أشقى من ترك لنفسه العنان ففتحت عليه باب المعاصي على مصراعيه وغرقت في شهواتها ولذاتها الزائفة فله سوء المنقلب.

والعفة تسبب العزة؛ لأن العفة تورث الطاعة ومن يطع الله تعالى ويتبع أوامره يجعل له شأنا بين عباده، ويعزه في الدنيا، ويقربه له في الآخرة، العفة

تورث العزة لأنه كلما استعلى العبد عن العباد وصل لرب العباد.

والعفة كبح النفس عن شهواتها الرديئة وعدم السير وراء أطماعها الدنيئة، وغنى النفس هو قناعتها بأن رزقها على خالقها عز وجل والقناعة كنز لا يفنى، حقًّا إن العفة والقناعة بما قسم الله والرضا به هي طريق السعادة.

ولكن ما العمل إذا وقع قدر الله تعالى في عباده ووجد الشاب، أو الفتاة نفسه بلا زواج مع رغبته في ذلك، ولكن حالت الظروف الخارجة عن إرادته ووقع في فخ العزوبة والعنوسة؟!

ما السبيل إلى إحصان نفوسهم والحد من ثورة غرائزهم الجامحة ؟

السبيل الوحيد هو أن يستجيبوا لدعوة القرآن الكريم في التمسك بحبل الإعفاف والتسامي، وهذا هو الطريق الوحيد في إصلاح نفوسهم وإحصان فروجهم والترفع عن هواجس نفوسهم الأمارة بالسوء، وصدق قول الحق ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ .... [النور: ٣٣].

وهذه الدعوة إلى العفة تربية نفسية كريمة تقوي في نفوس الشباب الإرادة، وترسخ في قلوبهم العزيمة، وتجعل منهم أناس كالملائكة (١)، وتمنحهم دائمًا الطمأنينة والاستقرار ويصل الشباب إلى قمة العفة والتسامي عن طريق اتباع المنهج الآتي:

(١) عقبات الزواج وطرق معالجتها. مرجع سابق

١- اللجوء إلى الصوم:

فالإسلام أرشد الذين لا يجدون نكاحًا أن يصوموا لما للصيام من تخفيف لغلواء الشهوة، وتقوية لمعنى المراقبة لله، والخشية منه. حيث صدق قول المصطفى ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»**(١).

وما أكثر صيام النفل الذي حصن الشرع على صيامه، ونذكر منه على سبيل المثال: صيام داود فإنه كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وصيام الاثنين والخميس، وصيام الستة من شوال، وصيام ثلاثة أيام البيض من كل شهر عربي الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، ومنه صيام تسكين الشهوة للحديث السابق.

٢- غض البصر عن المحرمات:

لأن النظرة إلى المرأة الأجنبية يؤدي إلى الابتسامة وإلى نتائج وخيمة لا تحمد عقباها، وصدق الشاعر حين قال:

كُلُّ الحَوادِثِ مَبدَؤُهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

وتعالى الحق سبحانه وتعالى في قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ .... [النور: ٣٠].

---

(١) رواه البخاري: ح(٥٠٦٥)، ومسلم: ح(١٤٠٠).

فإذا سار الشباب على هذا النهج يكونون من زمرة الصالحين الأطهار والمؤمنين الأبرار.

٣- الابتعاد عن المثيرات الجنسية:

من المسلم به أن الاختلاط في أجواء النساء الكاسيات العاريات المتبرجات، وأن قراءة القصص الغرامية والمجلات الخلاعية والأفلام الخليعة والأغاني الماجنة كل ذلك يلوث الشرف، ويخدر الغيرة، ويميع الخلق، ويضعف الذاكرة، ويثير الغريزة، ويقتل الشخصية، ويجر الشباب إلى شباك الفاحشة، ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .... [الإسراء: ٣٢].

فعلى الذين لا يجدون نكاحًا أن يبتعدوا عن المثيرات إن أرادوا أن يحافظوا على توازنهم الإرادي، وانضباطهم النفسي والخلقي، وصحتهم العقلية والجسدية.

٤- ملء الفراغ بما ينفع:

فالشاب المراهق إذا اختلى بنفسه وقت الفراغ ترد عليه الأفكار الحالمة والتخيلات الجنسية الآثمة، كما يؤكد علماء النفس والتربية فلا يجد نفسه إلا وقد تحركت بالشهوة، وهاجت بالغريزة أمام هذه الموجة من التأملات والخواطر.

وعلى الجميع ملء وقت الفراغ برياضة بدنية تقوي جسمه، أو نزهة بريئة

يروح بها عن نفسه، أو مطالعة مفيدة يكمل بها ثقافته، أو عمل يدوي ينمي به ميوله، أو حضور حفلة روحية توجيهية يهذب بها خلقه، أو مباراة ثقافية يروض بها عقله، أو ركوب الخيل والسباحة.

٥- اختيار الرفقة الصالحة:

من المعلوم أن الذي يصاحب أهل التقوى والإيمان فإنهم لا يقودونه إلا إلى الخير، ولا يأخذون به إلا إلى هداية، ولا يصحبونه إلا إلى منافع دينية ومصالح خلقية وعلمية.

وصدق قول المصطفى فيما رواه الترمذي: **«الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»**(١).

وقال ﷺ: **«لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»**(٢)

٦- اتباع الإرشادات الطبية:

ينصح علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة، وجموح الشهوة بما يلي:

- الإكثار من الحمامات الباردة.

---

(١) رواه أحمد في مسنده: ح(٧٩٨٦)، والترمذي: ح(٢٣٧٨).

(٢) رواه أحمد في مسنده: ح(١٠٩٤٤)، والترمذي: ح(٢٣٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع: ح(٧٣٤١).

- الإكثار من الألعاب الرياضية والتمارين الجسمية.
- تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل.
- الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي.
- عدم الإكثار من اللحوم الحمراء والبيض.
- عدم النوم على الظهر، أو البطن، بل السنة النوم على الشق الأيمن.

وهذا كله يفيده وينتفع به.

٧- استشعار خوف الله بالسر والعلن:

فحين يستشعر الشاب، أو الفتاة من أعماق وجدانه أن الله سبحانه يرقبه ويراه، ويعلم سره ونجواه ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأنه سيحاسبه إن قصر وفرط ويعاقبه إن انحرف وذل، لا شك أنه سيعف عن الحرام وينتهي عن ارتكاب الموبقات وفعل الفواحش.

وهذا يتم بحضور مجالس الذكر والمحافظة على الصلوات في مواعيدها وقراءة القرآن والتهجد وقراءة السيرة النبوية واستذكار الموت فهذا كله يقوي مراقبة الله والخشية منه سبحانه.

- ولعل أشهر الأمثلة على ذلك يوسف عليه السلام الذي

أغرته امرأة العزيز فاتجه إلى الله يسأله المعونة والعصمة واتقى الله حق تقاته.

- وتلك المرأة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه التي غاب عنها زوجها في الجهاد، وهاجمتها هواجس الوحدة وثار في عروقها دم الأنوثة ونار الغريزة ولولا خشية الله والإيمان الصادق لاندفعت إلى الإثم، وعلى إثرها أمر عمر رضي الله عنه ألا يحبس جندي عن أهله أكثر من أربعة أشهر.

إن هذا المنهج يجعل الشباب يتغلب على كل الدوافع الغريزية ويقهر الوساوس الشيطانية حتى يأتي اليوم الذي يغنيه الله من فضله.

وصدق قول الحق جل شأنه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ .... [الطلاق: ٢].

ومن حكمة الله سبحانه وتعالى أنه جعل مع الفضيلة ثوابها الصحة والنشاط وجعل مع الرذيلة عقابها الانحطاط والمرض.

وسبحان من أسبغ علينا نعمة الإسلام والاستعلام لأوامره ونواهيه.

- عقبات الزواج وطرق معالجتها على ضوء الإسلام : أ عبد الله ناصح علوان - دار السلام للطباعة والنشر
- أسرار في حياة العانسات : أ- بثينة السيد العراقي - دار طويق
- المجلات والصحف
- مجلة الفرحة
- جريدة الحياة
- جريدة اليوم
- جريدة الخليج
- واحات الصحة الصحبة الصالحة

الفهـــــــــــرس	الصفحة

المقدمة ١

الفصل الأول: التعريفات ٦

المبحث الأول: تعريف العنوسة ٩

المبحث الثاني: الإسلام والعنوسة ١٨

المبحث الثالث: تعريف العنوسة في العالم العربي ٣٠

الفصل الثاني: الأسباب التي أدت إلى انتشار العنوسة ٧٨

المبحث الأول: تعدد أسباب العنوسة ٨١

المبحث الثاني: دور الأسرة في العنوسة ٨٧

المبحث الثالث: مساهمة الشباب في العنوسة ٩٨

المبحث الرابع: القابلية للعنوسة ١٠٩

الفصل الثالث: مخاطر انتشار العنوسة وآثارها على المجتمع ١١٢

المبحث الأول: مخاطر العنوسة ١١٥

المبحث الثاني: آثار العنوسة على الفتاة ١١٩

المبحث الثالث: المخاطر السلبية على المجتمع ١٢٥

الفصل الرابع: أسرار في حياة العانسات ١٣٤

المبحث الأول: اعترافات دامية ١٣٦

المبحث الثاني: جميلات على عرش العنوسة ١٤٥

الفصل الخامس: العنوسة من وجهة نظر غربية ١٤٨

المبحث الأول: العنوسة في المجتمعات الغربية ١٥٠
المبحث الثاني: الحل الغربي ١٥٥

الفصل السادس: علاج العنوسة ١٦٦
المبحث الأول: علاج العنوسة بالوعي ١٦٨
المبحث الثاني: اختلاف علاج العنوسة على حسب الإقليم ١٨٢
المبحث الثالث: خطوات ذاتية لعلاج العنوسة ١٩٤
المبحث الرابع: العفة طوق النجاة ٢٠٠

أهم المراجع ٢٠٧

الفهرس ٢٠٩

ت: ٠١٠٥٤٤٧٩٤٤

تعريف بالكاتبة:

الاسم: بثينة السيد العراقي

المؤهل: بكالوريوس الإعلام جامعة القاهرة ١٩٨٤

الوظيفة: موجهة صحافة بالتربية والتعليم

الإصدارات:

١- أسرار الزواج السعيد – دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٢- أسرار في حياة المطلقات: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٣- أسرار في حياة العانسات: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٤- حكايتي مع شغالتي: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٥- دليل المحتارة في تربية الصغار: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٦- كيف تفسر الأحلام: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٧- أسرار وراء الجدران: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٨- فتيات ضائعات: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

٩- الحمل والولادة بلا متاعب: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية

١٠- أجمل الأسماء: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١١- كيف تكونين جميلة: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١٢- ألف طريقة للسعادة الزوجية: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١٣- ألف سؤال وجواب في الريجيم والسمنة: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١٤- خطوات في تربية الأولاد والبنات: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١٥- حياة زوجية بلا مشاكل: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١٦- للحريم فقط: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١٧- للبيوت أسرار: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية

١٨- كيف تكون سعيدًا؟ دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

١٩- حتى لا يموت الحب: دار طويق للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية.

في هذا الكتاب

- من المشاكل التي استشرت في المجتمع أو بليت بها المجتمعات العربية الإسلامية مشكلة العنوسة، فما هي، وما مظاهرها، وما هي أخطارها على الأسرة والمجتمع.
- هل عرف أجدادنا العنوسة
- مخاطر العنوسة لا تقتصر على الأفراد فقط بل على المجتمع كله
- هل للعنوسة أحكام فقهية؟
- تعرف على العنوسة في المجتمع العربي كله «مصر، السعودية، الإمارات، الكويت الجزائر، تونس»
- تعرف على العنوسة في المجتمع الغربي وطريقة علاجه لها
- علاج ظاهرة العنوسة من منظور إسلامي

كل ذلك وغيره عن مشكلة العنوسة وأخطارها وكيفية علاجها تقرأه في هذا الكتاب عسى أن يساهم ولو بجزء بسيط في حل لتلك المشكلة.

الناشر

دار الرشيد
للطبع والنشر والتوزيع
٣٢ش محمد برقية مقابل مسجد السنة
باب الوادى -الجزائر ٠٠٢١٣٢١٣٠٨٠٤٢

ألفا
للنشر و التوزيع
ت وفاكس: 0020233888593
موبايل: 0020101099805
Email:alfa_eg@yahoo.com
info@alfa-publishing.com
www.alfa-publishing.com